اجاثا كريستي





بصمات الاصابع

بصمات الأصابع

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

بصمات الأصابع

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

الناشــر :

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١١/٨٤٩٢ بيروت ـ لبنان

تلكس MUSIC 45328 LE

الغلاف
بريشة الفنان
صلاح عناني

بصمات الأصابع

ـ ١ ـ

لا زلت أذكر تلك الليلة الرهيبة، التي اكتشفت فيها جثتا القتيلين، وهي ليلة شديدة القيظ من شهر يونيه لعدة أعوام خلت.. فقد اقترن ذلك الحادث المروع بمأساة أخرى لا تقل هولاً.. إذ بينما كانت ترتكب في «نيويورك» هذه الجريمة المزدوجة الفظيعة، كانت الباخرة العظيمة (أوكسين) تغرق تجاه ساحل فلوريدا وتجر معها إلى قاع المحيط مئات من ركابها النكودين..

كنت وقتئذ أعمل سكرتيراً خاصاً لـ«تاتشر كولت» المدير العام لبوليس نيويورك.. وفي تلك الليلة جلست في مكتبه بإدارة الشرطة، لأتم كتابة التقرير الذي يريد تقديمه في مؤتمر رؤساء البوليس المزمع عقده في الغداة بمدينة «سيراكوزا»، وقد ران علينا صمت ثقيل زاده القيظ الخانق وطأة، صمت لا يعكره سوى دقات آلتي الكاتبة الرتيبة المملة..

وما كدت أفرغ من عملي وأتنفس الصعداء، حتى فتح الباب وتسلل منه الكابتن هنري، السكرتير العسكري للرئيس، وقدم نحوه قائلاً:

ـ معذرة يا سيدي، فقد تلقيت الآن نبأ تليفونياً من أحد رجالنا عن اكتشاف جثتين بزورق صغير في «إيست ريفر».

ـ أهما لاثنين من رجال العصابات؟

ـ كلا.. فإحدى الضحيتين امرأة شابة.. أما رفيقها في هذا المصير التعس فيرتدي ثياب القساوسة.

ـ يا للشيطان!.. إنها جريمة قتل إذن..

وأغمض «كولت» عينيه واستغرق في التفكير، فأدركت أن التردد يعتمل في نفسه، إذ كان على وشك الرحيل في أول إجازة بعد عامين من العمل المتواصل المرهق، ويزمع أن يقضي شهراً على ساحل البحر، على إثر انتهاء أعمال المؤتمر.

وأخيراً تنهد صدره تنهداً عميقاً، وما لبث أن نظر إليّ مبتسماً وهو يقول:

ـ أخشى يا عزيزي «توني» أن تضطر إلى وداع إجازتك، مثلي..

فلم أزد على أن تنهدت بدوري حسرة بينما استطرد «كولت» يسأل الكابتن «هنري»:

ـ كيف اكتشفت الجثتان؟..

ـ يبدو أن زورقاً بخارياً كان يعبر النهر في الظلام فارتطم بهذا القارب، ثم لم يلبث قائد الزورق أن راح يستغيث بصوت عال، فسمعته إحدى سفن الداورية وأسرعت نحوه حيث وجدت القارب بغير قائد، والجثتين في قاعه.. وقد سحبته إلى الشاطىء حيث يرسو الآن أمام معرض الجثث الجديد بمستشفى «بلفي»..

وبعد أن أملى عليّ «كولت» برقية إلى المؤتمر يعتذر فيها عن عدم الحضور تناول قبعته وأشار إليّ أن أتبعه، وهو يقول للكابتن:

ـ سوف يبلغك مستر «أبوت» بتعليماتي تلفونياً..

ولم تمض لحظة حتى كانت سيارة البوليس تنهب بنا الأرض نهباً، حتى بلغنا مستشفى «بلفي» فهبط منها «كولت» وسار نحو الشاطىء، فتبعته وأنا أتأمل سطح النهر بأمواجه المتراقصة المتألقة وهي تعكس

الأضواء المنتشرة على الضفتين.

وتقدم أحد رجال الشرطة نحونا، فأمره الرئيس أن يقص علينا تفاصيل الحادث فقال: كان ذلك منذ نصف ساعة تقريباً، فبينما كان فتى يدعى «توسيل» وصديقة له يتنزهان بزورقهما البخاري إذ ارتطما بقارب صغير يدفعه التيار ولا يقوده أحد. وما أن ألقت الفتاة نظرة إلى قاع القارب، حتى انبعثت منها صيحات الاستغاثة وسقطت مغشياً عليها، علي حين ظل رفيقها يهذي كمن به مس من الجنون حتى أدركته سفينة الداورية وقادت الزورق والقارب إلى الشاطىء.

ـ وأين هذان العاشقان؟

ـ كانت حالة الفتاة تدعو إلى العناية فحملت إلى المستشفى، وهي الآن هناك مع صديقها في حراسة أحد الزملاء.

فأشعل «كولت» غليونه وطلب إلى الشرطي أن يقوده إلى القارب، ومن ثم مضينا إلى الشاطىء حيث تبينا في الظلام زورقاً أحمر اللون هو «زورق الأحلام» الذي كان يستقله «توسيل» الصغير وصديقته، وإلى جواره سفينة البوليس الكبيرة.

وأشعل «كولت» مصباحه الكهربائي وهبط الدرج الحجري المؤدي إلى الماء، وعندئذ بدا لنا منظر بشع مروع، هو منظر الجثتين المتجاورتين في قاع قارب صغير مطلي باللون الأخضر.

كان الرجل قصير القامة يميل إلى البدانة ولا يبدو عليه أنه جاوز الثلاثين من العمر، وكان وجهه الحليق مستديراً وعيناه مفتوحتين تنبضان بالحياة، وفي جبهته العريضة ثقب مستدير سالت منه الدماء على وجنتيه، وشعره الأشقر الغزير وياقته البيضاء الناصعة وصديريته السوداء الكهنوتية. وإلى جواره رقدت المرأة كأنها مستغرقة في نوم عميق. وكانت في مقتبل العمر رائعة الجمال، ذات غدائر جميلة كستنائية تحيط بها شرائط من الحرير الأزرق..

وكانت تلوث ثوبها الحريري الأزرق بقعة كبيرة من الدماء تحت الثدي الأيسر، تنم على أن الرصاصة القاتلة قد أصابت القلب مباشرة.. ولم نلاحظ ذلك لأول وهلة، إذ صدمنا المنظر ببشاعته.. فكأنما لم يرو ظمأ القاتل أن تقضي رصاصة واحدة على ضحيته، فتناول سلاحاً قاطعاً شديد المضاء وذبح به الفتاة المنكودة حتى كاد يفصل الرأس عن العنق، ومع أنني قد خدمت في الحرب العظمى في فرنسا... ثم عملت سكرتيراً لـ«كولت» ورأيت الكثير من المناظر المروعة إلا أنني لن أنسى قط ما رأيته في تلك الليلة.

وظل «تاتشر كولت» لحظة طويلة يتأمل الجثتين، ثم مد ذراعه فلمس يد المرأة القتيل وهو يسأل: ألم تعرف شخصية هذين التعسين؟

ـ كلا يا سيدي.. فقد تركنا كل شيء على حالة دون أن نمسه انتظاراً لمقدمك.

فتحول «كولت» نحوي وهو يقول:

ـ إن أمامك يا «توني» جثمان كاهن أبرشية غنية، كما يبدو من أناقة ثوبه الكهنوتي وجودة نوعه.. وإني لعلى يقين من أن الجريمة ارتكبت فوق الشاطىء.ثم نقلت الجثتان إلى القارب.. ولا يمكن أن يكون قد مضى على ذلك أكثر من ثلاث ساعات، فإن يد المرأة لا تزال دافئة إلى حد ما، رغم تعرضها لرطوبة النهر.. آه..! صه..!

ورفع إصبعه إلى فمه محذراً وهو يمد يده مشيراً فنظرت في اتجاهها، وإذا بي ـ أرى شبحاً صغيراً يتحرك في مقدمة القارب الأخضر، فأمسكت بأحد الأعمدة ثم انحنيت إلى الأمام أمعن النظر في هذا الشبح الدقيق لأتبين كنهه، وأنا في عجب مما عساه يتحرك ويعيش مع هاتين الجثتين، حتى أدركت الحقيقة بغتة من المواء الحاد الذي انبعث فجأة ومن البريق الفوسفوري الذي ترسله عينان مستديرتان متوهجتان.. فقد كانت تحرس الجثتين في القارب هرة متوسطة

الحجم، مما زاد بشاعة المنظر.. وتواردت الأسئلة في خاطري، ترى لمن هذه الهرة.؟ أهي للقاتل، أم لإحدى الضحيتين.؟ وكيف وجدت معهما في القارب.؟

وأخرجني من ذهولي صوت «كولت» وهو يدعو حارس النهر ويطلب إليه أن يحضر شبكة مما يستعمل في صيد السمك، وسرعان ما جيء بها، فلم تمض دقائق حتى كانت الهرة تتخبط فيها وقد ثارت ثائرتها واشتد مواؤها بعد أن لقي الشرطي في الإمساك بها عناء أي عناء.. ورفع الرجل صيده عالياً حتى استطعت أن أمسك بها في قوة بين يدي ليراها «كولت» جيداً.. فراح يفحصها على ضوء مصباحه الكهربائي وهو يتمتم كأنه يحدث نفسه:

ـ يا لك من شاهد عجيب غير مألوف في القضايا الجنائية أيها الحيوان الصغير المسكين!! ولكنك لن تستطيع أن تقص علينا كيف حدث ما حدث.. ومن يدري فلعلك مثلي لا تعرف عن الأمر شيئاً.. هلا رفعته قليلاً يا «توني»؟

ومضى «كولت» يفحص كل جزء في الهرة، من أذنيها، ورأسها، وجسمها حتى أقدامها، وعندئذ هتف:

ـ آه!.. إن على أكفك آثار دماء يا صغيرتي.. ولكن ذيلك الجميل، وشاربك العظيم خاليان منها.. «توني» إنك تمسك بين يديك بشاهد عيان للجريمة..

ثم تحول نحو السرجنت «كارتر» فأمره بأن يحضر أحد الأقفاص ويضع الهرة بداخله، في مكان أمين حتى يطلبها منه ثانية..

وبينما كان الرجل يقوم بهذه المهمة استغرق «كولت» في التفكير وهو ينفث دخان غليونه في قوة، حتى إذا ما عاد «كارتر» التفت نحوه قائلاً:

ـ لقد رأيت أثناء قدومي الآن رافعة بخارية كبيرة عند ملتقى

الشارع التاسع والعشرين بالطريق المؤدية إلى المستشفى، وأود أن تحضرها إلى هنا سريعاً لأن كل دقيقة تمر تعد كسباً للقاتل..

فلما أسرع السرجنت لتنفيذ هذا الأمر التفت «كولت» نحوي قائلاً:

- إن أدق التفاصيل يا «توني» قد تكون ذات أثر حاسم في القضية، وإني أريد أن أفحص كل شيء في هذا القارب قبل أن تُرفع الجثتان منه..

ولم تمض بضع دقائق حتى سمعنا هدير الآلة الرافعة البخارية وهي قادمة نحونا بعمالها جميعاً، وسرعان ما أملى «كولت» أوامره، وهي أن يرفع القارب من النهر في حيطة حتى تظل الجثتان بوضعهما الحالي.

فكان العمل شاقاً مضنياً، حتى كاد القارب يفلت من السلاسل الضخمة التي أحيط بها، وأخيراً رفع من النهر والماء يقطر من قاعه حتى وضع على الشاطىء، فأمر «كولت» بأن يحمله الرجال حملاً وئيداً إلى قاعة استقبال الجثث بالمعرض المجاور..

ومضيت مع «كولت» نسبق الرجال وحملهم الرهيب، حتى إذا ما بلغنا تلك القاعة الفسيحة ذات الجدران الملساء القاتمة، رأينا ثلاثة من موظفي المعرض قدم إليهم «كولت» نفسه، وطلب إليهم إحضار شمعة وبعض المساند الخشبية الصغيرة لتثبيت فوق أرض القاعة، كما طلب إليهم إضاءة جميع الأنوار.

وما هي إلا هنيهة حتى جاء الحمالون يترنحون تحت حملهم الثقيل، فوضعوه في منتصف القاعة وثبتوه بالمساند الخشبية التي جاء بها موظفو المعرض. وفي الضوء الباهر الذي انبعث من الأنابيب الكهربائية القوية، بدا القارب وراكباه المنكودان يحدقان في السقف بعيونهما الزجاجية الواسعة، كأنما هو مشهد رهيب مما يعرض في

متاحف الشمع.

وأمر «كولت» السرجنت «كارتر» بأن يتصل بإدارة الشرطة تليفونياً لإرسال الرجال الإخصائيين، وكذلك الدكتور «مولتولر» الطبيب الشرعي.

فلما لم يبق معه بالقاعة سواي، أشعل «كولت» غليونه، واقترب من القارب وهو يقول: إنها قضية معقدة يا «توني»، وينبغي بادىء ذي بدء أن نعرف اسمي الضحيتين، ومحل إقامتها، وكل شيء عن حياتها.. وعلينا بعد ذلك أن نحدد مكان ارتكاب الجريمة.. ونهتدي إلى القاتل.

ثم مضى ينطق بخواطره بصوت مرتفع، على عادته، بينما أخرجت مفكرتي وبدأت أدون ما يقوله بطريقة الاختزال:

ـ يا له من قارب عجيب!.. انظر يا «توني»، إنه لا يحوي إلاَّ مقعداً وحيداً، وليست له دفة أو مجاديف.. ويخيل إلي أنه لم يصنع إلاَّ للغرض الفظيع الذي استخدم فيه.. ولكنني موقن من أن هذا القارب يقوم برحلته الأولى فإن حشو شقوقه لا يزال جديداً، كما أن طلاءه، ليس فيه خدش واحد.. ولنبدأ الآن بفحص هذين التعسين اللذين لا نعرف عنهما شيئاً.. إن المرأة يا «توني» باهرة الحسن، ولا ريب أنها كانت مولعة بالزينة والحلي.. فها هو عقدها من العنبر الخالص، وسوارها محلى بماسات حقيقية ولو أنها متوسطة القيمة.. ولكن قرطها من الماس الجيد.. إذن فالسرقة ليست الباعث على الجريمة.. آه!.. إن إحدى أذنيها خالية من فردة القرط ترى أين هي؟

وراح «كولت» ينقب في القارب دون أن يعثر على فردة القرط الأخرى، التي تبينا فيما بعد أنها كانت في مكان آخر.. وأخيراً عاد إلى فحصه فأمسك بيد المرأة، فوجد أصابعها لا تزال مرنة لينة مما يثبت

أن الوفاة لم يمض عليها أكثر من ست ساعات بحال من الأحوال. .
وعاد يشتمّ الأيدي الأربعة في قوة، وهو يتمتم:

ـ إنها خالية من رائحة البارود يا «توني»، فليس في الأمر إذن انتحار مزدوج. . ثم من الذي نقل الجثتين إلى القارب. ؟

ووجد في سوار المرأة مدلاة صغيرة من الذهب نقش عليها رقم ١٣، فقال:

ـ يا للمخلوقة المسكينة! إنها كانت تتعلق بالأوهام والخرافات، وتعلق أهمية كبيرة على رقم ١٣. . آه! أترى ثيابها الداخلية يا «توني»؟ إنها من الحرير الفاخر ويخيل إلي أنها جديدة كل الجدة. . فلماذا؟ إن ذلك يمكن تأويله رهيباً يا بني.

وحول «كولت» انتباهه نحو الجثة الأخرى، مغمغماً:

ـ إن رجال الدين يعدون يوم الاثنين يوم راحتهم الأسبوعية، ولا ريب أن هذا المنكود كان قد أعد مشروعاً للاستمتاع براحته في رفقة سعيدة. . وإذا صح حدسي يا «توني» فإنه قد قص شعره اليوم فقط، فهاك بعض شعيرات صغيرة ملتصقة خلف أذنه. . كما أن ثيابه ناطقة بحسن هندامه، فثنية السراويل ناهضة كحد السيف، وياقته لم تزحزح من مكانها قلامة ظفر. . وهذا النظام البادي في ثياب الضحيتين يدل دلالة قاطعة على استبعاد فكرة النضال والمقاومة. . وذلك يثير في نفسي حيرة كبيرة، لأن الرجل أصيب بالرصاصة في جبهته عن قرب، فكيف لم يحاول الدفاع عن نفسه؟

ورفع «كولت» رأسه ريثما يشعل غليونه، ثم استطرد:

ـ أترى هذه الدائرة الحمراء التي تحيط برسغه الأيسر؟ لا ريب أن القتيل كان يلبس ساعة ذات سوار ضيق. . فأين هي؟ سوف نأخذ صورة لهذا الأثر الهام عند حضور رجالنا.

وراح «كولت» يفتش القس ملياً. . وكانت جيوب سترته

خالية.. أما الجيب الأيمن لسراويله فكان يحوي لفافة من الأوراق المالية، مما أثار عجبي فقلت:

ـ عجيب أن يسلبه القاتل ساعته ومفاتيحه، ثم يدع هذا المبلغ الكبير...

ـ نعم.. ويدع أيضاً حليّ رفيقته، وهي أثمن قيمة.. إن هذا كله يحتاج إلى المزيد من التأمل يا عزيزي... هذا المبلغ الكبير...

ولم يتم «كولت» عبارته إذ كان قد وضع يده في الجيب الخلفي فأخرج منه قطعة من الورق عليها كتابة بالمداد.. وكانت جزءاً ممزقاً من خطاب رحت أقرؤه من فوق كتفي «كولت» في الوقت نفسه، فإذا به يجري كما يلي:

«لقد فكرت طويلاً في الأمر الذي ناقشناه سوياً يا عزيزتي «إيفلين».. فكرت فيه في وحدتي، وفي صلواتي، دون أن أصل إلى قرار، إذ أنني أدرك حق الإدراك واجب كل منا.. واجبك حيال زوجك وابنتك، وواجبي حيال زوجتي وربي الرحيم الذي يقرأ ما في ضمائرنا كأنها كتاب مفتوح، ويغفر لنا ضعفنا.. ولكنه سبحانه أرحم من أن يقتضينا تلك التضحية التي تفوق طاقة البشر، بأن نضحي بحبنا العظيم..

كلا.. إنني لن أطيق هذه التضحية حتى ولو نبذنا الناس جميعاً واستنزلوا علينا اللعنة والغضب.. وحتى لو فتحت أمامنا أبواب الجحيم على مصراعيها ثم أغلقت وراءنا لنخلد فيها أبداً.. فإنني سوف أقول وأردد دائماً: كلا.. وألف مرة كلا...

أما الاعتراض الذي أثرته، وهو هل من حقنا أن نسبب ألماً لمن يحيطون بنا فإنني أرد عليه بشيء واحد.. هل عني هؤلاء بسعادتنا أو شقائنا في يوم من الأيام؟ هؤلاء الذين تخشين اليوم أن نسبب لهم حزناً أو كمداً؟.. كلا... أليس كذلك؟.. إذن...

إذن تعالي يا حبيبتي إلى لقائي في مكاننا المألوف حتى نحقق مشروعنا العظيم، واذكري أن السعادة التي سوف نلقاها معاً أعظم قدراً من. . . . . .»

وإلى هنا انتهت تلك القطعة من هذا الخطاب الغرامي الحار الملتهب، وعبثاً رحنا نبحث عن قطعة أخرى منه، حتى قال «كولت» أخيراً:

ـ لا بأس يا عزيزي «توني». . لقد علمنا الآن أن كلا من هذين التعسين كان متزوجاً وأنهما كانا عشيقين. . وهو أمر مروع في حد ذاته بالنسبة لأحد رجال الدين. . ولكني أتساءل أين ذهبت ساعته وخاتم زواجه؟. . فهناك دائرة حمراء أخرى في بنصر اليد اليسرى. . وإني أراهن على أن القس القتيل كان يضع خاتم زفاف في إصبعه نزع منه مع الساعة في الوقت نفسه الذي أخذت فيه أوراقه ومفاتيحه، وبواسطة الشخص نفسه. . ولكن لماذا؟. . هذا ما ينبغي معرفته يا عزيزي. . وقد تأكدنا الآن من أن للرجل زوجة شرعية، وأن المرأة خلفت وراءها زوجاً وابنة، كما تأكدنا من أن في الأمر جريمة قتل، ولم يبق إلاّ أن نتتقم لهذين التعيسين. . .

فقلت: وكيف جزمت أيها الرئيس بأنهما قد وضعا في القارب جثتين هامدتين؟

ـ انظر إلى عنق المرأة تر الشريان مقطوعاً مما يسبب نزيفاً دموياً هائلاً. . ولكن القارب خالٍ من أي أثر للدماء، ومن ثم ترى أن الجثتين عندما وضعتا في القارب كانتا هامدتين وقد مضى وقت على الوفاة. . .

وناولني «كولت» الخطاب الغرامي لأضعه في حافظة الأوراق، فلما رفعت رأسي وجدته مكباً على القارب يحاول أن يستخرج شيئاً من قاعه. . وعندما استوى قائماً رأيت على وجهه علامات البشر والارتياح

وهو يهتف:

ـ إن العناية الإلهية معنا يا بني..

ثم اقترب من أحد المصابيح ليفحص ما وجده، فتقدمت نحوه وما كان أشد عجبي عندما رأيت أن هذا الكنز العظيم لم يكن سوى ورقة صغيرة من ورق الشجر يضعها فوق راحته المكتنزة ينظر إليها بعينين متألقتين...

ـ أتعلم أي أنواع الأشجار له هذه الأوراق يا «توني»؟

ـ كلا يا سيدي..

ـ ولا أنا.. مع أنني أعرف جميع الأنواع المألوفة..

ـ ولكن.. لست أدري كيف تجعلنا هذه الورقة نتقدم في طريقنا؟

ـ بل إننا بفضلها قد نستطيع القبض على القاتل قبل الصباح.. والآن أصغ إلي، لقد رأيت آلة تليفون في مكتب ملاحظ العرض فاطلب رقم ١٠٩٤٢ «ريفر سايد»، وأخبر مستر «ليدر» إخصائي النباتات إنني أريد أن أراه في الحال، واطلب منه أن يحدد موعداً للقاء في خلال نصف ساعة..

فلما هممت بالإسراع لقضاء هذه المهمة استوقفني «كولت» قائلاً:

ـ مهلاً.. فلم أتم أوامري بعد.. عليك بعد ذلك أن تتصل بالمركز الرئيسي لتعلم ما إذا كان مكتب الاستعلامات قد تلقى أي نبأ عن اختفاء أحد القساوسة البروتستانت.. وإذا كان الجواب سلباً ـ وهو ما أعتقده إذ لم تمض ساعة ونصف على اكتشاف الحادث ـ فمرهم بأن يستخرجوا عناوين جميع الكنائس من دليل التليفون، ثم يبلغوها إلى جنود الداوريات جميعاً ليذهب كل منهم إلى كنائس منطقته فيسأل إن كان الأب المحترم في منزله.. فينبغي أن نعرف خلال ساعة واحدة اسم القتيل...

- ٢ -

اتصلت بإخصائي النباتات فوعدني بانتظار الرئيس في مكتبه بعد ثلاثة أرباع الساعة، ثم اتصلت بالمركز الرئيسي وأبلغت أوامر «كولت» للكابتن «هنري». . وهكذا انطلق رجال البوليس في أنحاء «نيويورك» جميعها تلك الليلة الخالدة يطرقون أبواب الكنائس وعددها لا يقل عن المائة، للسؤال عما إذا كان القس موجوداً بمسكنه؟

فلما عدت إلى القاعة، وجدتها تموج برجالنا وقد بدءوا عملهم. . فها هو «فريد ميركل» المصورالفوتوغرافي، و«ويليامز» خبير تحقيق الشخصية، والدكتور «مولتولر» الطبيب الشرعي - وكان يفحص الجثتين فحصاً مبدئياً - ثم كبير المفتشين «فيجلي»، والمفتش «لنجل» مساعده. . . وكان «كولت» واقفاً مع تلك الشخصية المحبوبة الذائعة الصيت، مستر «ميرل دوجرتي»، وكيل نيابة المنطقة، والصديق القديم لـ«تاتشر كولت» وقد وقف متململاً والعرق ينضح من وجهه المكتنز المستدير فلا يبالي أن يجففه. .

فلما اقتربت منهما سمعت «دوجرتي» يسأل الرئيس إن كان قد فحص ثياب القتيلين الداخلية قائلاً:

- لأن المعلومات الخاصة بمحلات الغسيل في «نيويورك» كلها محفوظة بالمكتب الرئيسي. . أليس كذلك يا «تاتشر»؟

- بلى. . ولكن من سوء الحظ أن كلا القتيلين يرتدي ثياباً جديدة لم تغسل قط. . .

فانتقض وكيل النيابة وصاح: آه! ألا ترى ذلك عجيباً ؟

- بلا ريب. . إنه مثير للدهشة. .

وتحول الرئيس نحوي وسألني عما إذا كنت قد اتصلت بالمركز الرئيسي، فأدركت أنه يريد ألاّ أذكر شيئاً عن إخصائي النبات وعن ورقة الشجر. . فلما رويت له حديثي مع الكابتن «هنري»،

صاح «دوجرتي» وهو يرمقني بنظرة إطراء:

ـ مرحى.. مرحى.. إنني أشعر يا «تاتشر» أن تحقيق هذه القضية سيتم على خير وجه يا صديقي.. وفي رأيي أن أول ما ينبغي عمله. هو أن نبادر بسؤال «توسيل» وصديقته الحسناء. ما داما هما أول من رأيا القارب..

ففكر «كولت» لحظة، ثم أحنى رأسه وقال:

ـ إنها فكرة صائبة يا عزيزي «دوجرتي».. فهل لك أن تتولى سؤال هذين الشاهدين ريثما أشتغل ببعض المهام العادية؟

ـ حسنٌ.. ولكن أين ومتى نتقابل ثانية؟

ـ في الساعة الثالثة صباحاً، بمنزلي إذا لم يكن في ذلك ما يضايقك. وهناك يمكننا أن نرسم خطة العمل.

فلما انصرف وكيل النيابة ومعه أحد المفتشين، ألقى «كولت» تعليماته إلى «فيجلي»و«لنجل»، ثم أردف: سوف أظل على اتصال بالمكتب الرئيسي كل نصف ساعة.. وإذا أخطر أحد رجال الشرطة عن غياب أحد القساوسة، فلا تتخذوا أي إجراء قبل الاتصال بي. كما أرجو أن تجتمعوا في منزلي في الساعة الثالثة، أي بعد ساعة..

والتفت نحوي بعد ذلك فطلب مني أن أحضر الهرة، فجيء بالقفص الذي حبست بداخله وعندئذ نادى «كولت» خبير البصمات، «ويليامز»، وأمره بأن يأخذ بصمات أقدام الهرة..

واستقبل هذا الأمر الغريب بصمت عميق، دون أن يجرؤ أحد على الإعتراض أو التساؤل، ولو أن الدهشة كانت بادية في عيون الجميع.. وسرعان ما جاء «ويليامز» بمعداته، وبعد لحظة كانت بصمات أكف الهرة الأربعة مطبوعة على (الفيش) فأمرني «كولت» بأن أضعه في حافظة الأوراق مع الخطاب الغرامي..

وما كاد «ميركل» يفرغ من تصوير الدوائر الحمراء حول معصم

القتيل وبنصره، حتى أمر الرئيس بنقل الجثتين إلى المشرحة على أن يوافيه الدكتور «مولتولر» بتقريره حينما يفرغ منه.

وبعد دقائق كنا نستقل السيارة معاً، ولبثت صامتاً برهة أقاوم الفضول، حتى لم أستطع معه صبراً فسألته:

ـ ما الذي جعلك تجزم أن الجريمة ارتكبت في مكان ما على شاطىء النهر يا سيدي الرئيس..؟

ـ إن مجرد استخدام القاتل لهذا القارب لإبعاد الجثتين عن مسرح الجريمة يضعنا أمام أحد احتمالين.. فإما أن القارب كان يرسو عند الشاطىء انتظاراً لهذه المهمة البشعة، وهو ما لا أعتقده، لأن ذلك يستلفت الأنظار، وقد يشهد بعض المارة برؤيته.. وإما أن يكون القارب قد أخفي بقرب الشاطىء، في قبو أو كهف أو ما شابه ذلك، حيث وضعت فيه الجثتان واقتيد إلى النهر.. وإني أجزم بذلك لأنه لا يمكن أن يكون القاتل من الغفلة بحيث ينقل الجثتين على قارب في شارع «نيويورك» ليصل إلى النهر فيسترعي الأنظار..

وبلغت بنا السيارة دار البلدية حيث كان المستر «ليدر» إخصائي النباتات في انتظارنا، وبعد التحيات المألوفة قدم له «كولت» ورقة الشجرة وسأله عنها، فقال:

ـ إنها من شجرة واسعة الانتشار تدعى (شجرة السماء) وفي «نيويورك» عدد كبير منها، رغم أننا أشهرنا عليها حرباً لا هوادة فيها لأن البعوض يأوي إليها.

ـ ألا يزال باقياً شيء منها هنا؟

ـ بلى.. لدينا آلاف عديدة منها هنا...

فرمقني «كولت» بنظرة سريعة ملأى باليأس والأسى، إذ كان رجاؤه الوحيد للوصول إلى مسرح الجريمة هو العثور على الشجرة التي شاء القدر أن تسقط إحدى أوراقها في القارب المشئوم.. وبعد أن

أشعل غليونه قال في وجوم:

ـ ألا يمكنك يا مستر «ليدر» أن تخبرني هل يوجد كثير من هذه الشجرة في حي مانهاتان، على الشاطىء الشرقي للنهر؟

ـ إنها نادرة في تلك المنطقة يا مستر «كولت».. فلا توجد إلاّ في ثلاث جهات فقط على طول الشاطىء الشرقي، أولها حديقة خاصة لمنزل في الشارع الثاني عشر بعد المائة... وثانيها متنزة «كارل شورز»، وهو حديقة عامة أمام مجموعة من المساكن بالشارع الأول، يطلق عليها اسم «سانجستر تراس»، وهناك تمتد الأشجار حتى الشاطىء نفسه...

فأمسك «كولت» بذراعي في عنف وهو يقول:

ـ ذلك أصلح مكان لارتكاب الجريمة يا توني»...

وتمتم يشكر «ليدر» ببضع كلمات قليلة، ثم اندفع يهبط الدرج في عجلة ويثب داخل السيارة وهو يصيح بالسائق أن يذهب بنا إلى «سانجستر تراس».. وسرعان ما بلغنا غايتنا، فإذا بنا أمام صف من المنازل القديمة طليت أبوابها بالألوان الزاهية الخضراء والحمراء وغيرها على عادة ذلك العصر، وكل منها يحمل رقماً نحاسياً.. وكانت المساكن جميعها مظلمة موصدة النوافذ تبدو مقفرة هجرها أصحابها.. وكاد قلبي يهبط من فرط اللهفة، فهل ترانا نسير في الطريق المؤدي إلى الحقيقة؟..

وأمر «كولت» السائق أن يدعو الحارس الليلي، فجاء به بعد لحظة، وكان يدعى «كراوس»، فسأله «كولت»:

ـ هل كل شيء على ما يرام الليلة يا «كراوس»؟

ـ الليلة وكل ليلة يا مستر «كولت»، خصوصاً في موسم الإجازات حيث يذهب السكان جميعاً إلى مصايفهم..

ـ هل تقوم بالحراسة وحدك؟ وهل تعنى بالحديقة أيضاً؟

ـ إننا اثنان نتناول الحراسة وخدمة الحديقة..
ـ هلا توجد هنا واحدة من «أشجار السماء»؟
ـ بلى.. وهي مثار متاعبنا لكثرة ما يعشش فيها من الحشرات..

فأشعل «كولت» غليونه في تؤدة ثم قال:
ـ في أية ساعة بدأت نوبتك في الحراسة ليلة أمس يا «كراوس»؟
ـ في الساعة السادسة يا مستر «كولت».. ولكن ما الذي حدث؟

فلم يجبه الرئيس وإنما أشار إلى السائق أن يتصل بالمركز الرئيسي تليفونياً ليسأل هل من جديد ثم يلتقي بنا في الحديقة.

وبعد لحظات كان الحارس يقودنا في تلك الجنة الفيحاء التي انتشرت فيها الأشجار والزهور فوق بساط من العشب الأخضر السميك حتى شاطىء النهر، ليرينا موضع شجرة السماء.. وما أن وقعت أنظارنا عليها حتى شهقت إذ تبينت في أوراقها نفس الورقة التي عثرنا عليها في القارب.. بينما ركع «كولت» بجوارها وراح يفحص العشب على ضوء مصباحه الكهربائي، وما لبث أن هتف:
ـ أترى هذا الأثر الغائر في العشب يا «توني»؟ لقد كان القارب هنا...

فقاطعه «كراوس» قائلاً: لم يكن يوجد قارب في الحديقة مطلقاً.

وكانت الشجرة قريبة من النهر فاستطاع «كولت» أن تبين خطًّا طويلاً غائراً يمتد منها إلى الشاطىء، ومن الواضح أنه كان أثر جر القارب بحمله الثقيل..

وفي صوت خافت، راح «كولت» يقول لي:
ـ إنني الآن على يقين يا صديقي من أن أحد هذه المنازل الهادئة المظهر كان مسرحاً للجريمة المزدوجة.. ففي أحدها تم بناء القارب

وإخفاؤه حتى حمل الليلة إلى الحديقة، ووضعت فيه الجثتان ثم سحب إلى النهر وترك تحت رحمة التيار. . .

ـ ولكن كيف تستطيع معرفة المنزل المنشود بين هذه المنازل الخمسة والعشرين؟

ـ إن المسألة كلها مسألة إلهام من باديء الأمر يا «توني». . هل تذكر أن «إيفلين». المسكينة كانت تحمل مدلاة ذهبية عليها رقم ١٣؟ لنبدأ إذن بالمنزل الذي يحمل هذا الرقم. . .

ثم خاطب الحارس بصوت عال سائلاً: ألا يقتني أحد سكان هذه المنازل هراً من النوع الفارسي يا «كراوس»؟

ـ بلى. . إنها هرة وتدعى «جيزابيل». . وهي لمستأجر المنزل رقم ١٣. .

ـ حسنٌ يا «كراوس». افتح لنا باب هذا المنزل فإني أود أن أزوره.

فحاول الحارس أن يعترض، لما في ذلك من انتهاك لحرمة منازل الناس وهو المكلف بحراستها، ولكن «كولت» واجهه في حزم وهو يصوب إلى وجهه مصباحه الكهربائي:

ـ إذا كنت حريصاً على واجبك إلى هذا الحد فأين كنت عندما ارتكبت هذه الجرائم؟. .

ـ جرائم:

ـ نعم. . إنها جريمة قتل مزدوجة. .

فترنح الرجل وشحب وجهه، وغمغم: لست أدري عم تتحدث يا مستر «كولت»؟

ـ لقد استلمت نوبتك في الساعة السادسة. . وبعد ذلك بقليل قتل رجل وامرأة في هذا المنزل، فهل تزعم أنك لا تعرف عن الأمر شيئاً؟ وهل تظنني أصدقك؟! فراح الرجل يرتجف كمن أصابته الحمى

فجأة، وصاح:

ـ هذه هي الحقيقة.. فإنني لم أكن هنا.. لقد تركت الحراسة بعض الوقت..

ـ لماذا؟.. وأين ذهبت!..

ـ لقد تلقيت برقية بأن امرأتي أصيبت في حادث ونقلت إلى مستشفى «بروكلين» بين الحياة والموت.. فأسرعت لأراها ولكني وجدت أنها مزحة ثقيلة من أحد السخفاء، فعدت ثانية..

ـ أرني هذه البرقية..!

ـ فأخرج الرجل من جيبه ورقة صغيرة قدمها لـ«كولت»، فقرأها هذا ثم ناولني إياها طالباً أن أحتفظ بها جيداً، واستطرد يقول للحارس:

ـ إنك في مركز دقيق يا «كراوس» وفي وسعي أن أقبض عليك الآن..

فصاح الرجل مرتاعاً:

ـ بالله لا تفعل يا مستر «كولت».. سوف أفتح لك المنزل..

ـ في هذه الحالة يختلف الأمر.. هيا أمامي..

وتبعنا الحارس حتى المنزل رقم ١٣. وفي طريقنا إليه همس «كولت» في أذني:

ـ إننا نقترب من الحقيقة يا توني».. فهذه البرقية ليست سوى خدعة من الجاني لإبعاد الحارس..!

وولجنا باب المنزل، فإذا نحن في ردهة مظلمة ليس بها من ضوء سوى ما يبعثه مصباح «كولت» الكهربائي.. وكنت أسمعه يتشمم الجو بصوت عال وأخيراً غمغم:

ـ إنني لا أشم رائحة دماء حديثة..

ثم نحي بصره إلى «كراوس» وقال:

ـ كم حجرة هنا في الطابق الأرضي يا «كراوس»؟

ـ حجرتان للخدم فقط.. وهما خاليتان الآن.. أما بقية المنزل فيشغله المستأجرون...

ـ سوف أفتش المنزل كله وستكون معي... ولكن أشعل الضوء أولاً...

فلما انتشر الضوء في الردهة رأيت في صدرها باباً سميكاً من خشب البلوط المنقوش، فتحه «كولت» فإذا وراءه حجرة فسيحة خالية من الأثاث يضيئها مصباح صغير مدلى من السقف، وعندئذ سمعت «كولت» يتمتم في رضا:

ـ لقد أسعدنا الحظ هذه المرة يا «توني».. ألا تشم رائحة طلاء جديد؟

وكان في صدر الحجرة نافذة كبيرة يبلغ عرضها نحو تسعة أقدام ولا ترتفع عن الأرض بأكثر من قدم واحد، وتشرف على الحديقة والنهر.. فقال لي «كولت» في صوت خافت: لست أريد أن أتعجل الحكم.. غير أن رائحة الطلاء والخشب التي تنبعث من هذه الحجرة تجعلني أعتقد أن القارب قد ظل بها بعض الوقت.. ومن يدري..؟ فلعله صنع هنا وأخرج إلى الحديقة من النافذة..

ثم التفت إلى كراوس وسأله:

ـ لمن هذا المنزل يا «كراوس»؟

ـ إن صاحبته السيدة «بازيل هوارتون»، وهي سيدة عجوز هجرته لتقيم في الفندق وتؤجره مفروشاً.. والذي يستأجره الآن هو مستر ومسز «سادلر»، كما يدعوان نفسيهما.. ولكنهما لا يقيمان فيه بانتظام، بل يمضيان معاً بعض الأمسيات أو السهرات..

ـ هل شعر مسز «سادلر» كستنائي اللون..؟

ـ نعم.

ـ ومستر «سادلر»؟
ـ إنه ذو شعر أشقر مجعد.
ـ ألم تر أحداً غيرهما يدخل المنزل منذ أن استأجراه؟
ـ كلا، فيما أعلم.. فهما لا يستقبلان أحداً البتة..
ـ ألم يحضرا الليلة إلى هنا؟
ـ كلا.. أعني لم يحضرا أثناء وجودي..

وراح «كولت» يجيل مصباحه الكهربائي في أنحاء الحجرة، وما لبث أن أشار إلي بأن أقترب منه، وهو يومىء بأصبعه إلى بقعة من الطلاء الأخضر على الأرض.. قائلاً:

لا تنس أن القارب كان مدهوناً بهذا اللون..

وعاد إلى فحصه، وإذا به ينحني جانباً ويلتقط شيئاً من ركن الحجرة خلفي وهو يقول: أترى هذه الأثقال الحديدية يا «توني»؟ يوجد هنا ثمانية منها..

ورفعت أحدها في يدي فإذا بها من الطراز الذي يستعمله الرياضيون في تدريبهم، ومن نوع ثقيل غاية الثقل، فوجمت لحظة مندهشاً، على حين استطرد «كولت»:

ـ إنني أكاد أخشى التعبير عن رأيي يا «توني».. ولكن هب أن القاتل بلغ ظمؤه للدماء حداً جعله لا يكتفي بقتل ضحيتيه، وإنما أراد أن يقطع جثتيهما إلى قطع صغيرة ويربط في كل منهما ثقلاً حديدياً، ثم يستقل القارب إلى عرض النهر ويلقي بهما في أعماقه.. ولكن إذا كان الأمر كذلك فما الذي منعه من تنفيذ خطته؟

وفي ركن آخر من الحجرة وجد «كولت» مجدافين قبل أن يقرر الصعود إلى الطابق العلوي. وما كدنا نرقى الدرج، ونبلغ الردهة حتى وجدنا في ناحية منها حقيبتين كبيرتين عليهما هذا الحرفان: أ. س.

وفتحهما «كوا ، وكانتا غير مغلقتين بالقفل، فـإذا بداخلهما

الكثير من الثياب والأحذية النسائية، ولكنها جميعاً جديدة كل الجدة، بحيث لم نجد عليها ما يمكن أن يرشدنا إلى شخصية صاحبها. .

ومضينا إلى حجرة استقبال عتيقة الطراز، ولو أنها وثيرة الفراش، ليس بها من شيء عصري سوى جهاز للتليفون موضوع فوق خوان صغير. . وكان «كولت» يجيل نظراته في أنحاء الحجرة وهو يتمتم:

ـ إن كل شيء منظم مرتب، وفي المكان المخصص له. . كما لا يوجد أي متاع شخصي ينم عن صاحبه. . وإن الإنسان ليخال أنه قد مضت أعوام طويلة دون أن يلج هذه الحجرة إنسان. . آه!. .

وكانت عيناه تدوران في أرجاء الغرفة في بطء. . فرأيتهما تستقران فجأة على نقطة معينة وهو يهتف:

ـ أخيراً. . هذا شيء يسترعي النظر. . .

فتبعت نظرته، وإذا بي أرى سكيناً طويلاً ذا حدين يسطع منها بريق يخطف الأبصار، وله مقبض طويل من العاج المنقوش. . وكان السكين معلقاً على الحائط بشريط أحمر اللون. . فقال «كولت»:

ـ إن هذا السكين يدعى (بارونج) ولا يزال يستعمل في «الفلبيين» وجزر «سولو». . ويستخدمه الوطنيون في ضرب أعناق أعدائهم. . ولكن كيف أحضر إلى هنا؟. .

فأجابه «كراوس»:

ـ إنه للمسز «هوارتون». . فقد كانت في شبابها جوابة رحالة، وجلبته أثناء رحلة لها في المحيط الهادي كما ذكرت لي. .

فمر «كولت» بيده على الجدار حول السكين، ثم قال وهو يريني أصابعه الملوثة بالتراب:

ـ إن الغبار يملأ المكان كله ما عدا هذا السكين. . ولعلك

تلاحظ أنه مشحوذ حديثاً، بل يستطيع المرء أن يقسم أنه قد غسل منذ ساعة واحدة. . .

واستمر «كولت» في بحثه، حتى سمعته يصيح وهو يركع أمام الأريكة:

ـ تبارك الله في عليائه يا «توني». . انظر. . !

فنظرت. . وإذا فوق راحته الممتدة شيء صغير يتألق في الضوء. .

ـ إنها فردة القرط الأخرى، التي تكمل ما وجدناه في أذن المرأة قتيل القارب يا «توني». . الآن وثقت أن الجريمة ارتكبت هنا. . في هذه الحجرة بالذات. . ولكن لنبحث عن أدلة أخرى. .

وفتح باباً يؤدي إلى حجرة صغيرة معتمة، فإذا به يعثر على آثار بالغة الأهمية. . إذ وجد على ضوء مصباحه الكهربائي آثار أقدام حديثة واضحة كل الوضوح على التراب الكثيف الذي يكسو أرض الحجرة المهجورة، كما وجد على الجدار بجوار الباب آثاراً تنم على أن شخصاً كان يسند إليه رأسه ومرفقه، لا يزيد طوله على خمسة أقدام. . ترى هل نحن الآن في مخبأ القاتل؟. .

وخرج «كولت» من الحجرة المعتمة وفي أساريره علامات التفكير العميق. . وفي تلك اللحظة عاد السائق، فقال إنه اتصل بالمركز الرئيسي فعلم أن الرجل قد عرفت شخصيته. . فهو المحترم «تيموتي بيزلي» راعي كنيسة القديس «ميشيل» الواقعة في الشارع الثاني والثمانين. . فعندما ذهب الشرطي إلى تلك الكنيسة ليسأل عن القس أجابته السيدة التي فتحت له أن زوجها خرج ولم يعد، وقد بدأ القلق ينتابها من غيابه الطويل.

فأخرج «كولت» منديله وأمسك به بسماعة التليفون وطلب مستشفى «بلفي» حيث سأل عن مستر «دوجرتي»، وبعد لحظة كان

يقول:

أهذا أنت يا «ميرل»؟.. إنني أتحدث إليك من المنزل الذي ارتكبت فيه الجريمة.. نعم.. سوف أقص عليك كل شيء فيما بعد.. ولكني أرجو أن تحضر للتوّ ومعك «فيجلي» وباقي رجالنا.. فقط لا تقل شيئاً للصحفيين.. تماماً - ١٣ «سانجستر تراس»، المنزل ذو الباب الأحمر..

وأمر «كولت» سائقه أن يهبط إلى الطريق لينتظر مستر «دوجرتي»، كما أمر الحارس «كراوس» بأن يصحب السائق ويبقى معه..

ثم أخلد إلى الصمت وراح يجذب أنفاساً متلاحقة من غليونه.. ولكني لم أستطع معه صبراً، فسألته إن كان قد كون فكرة عن كيفية وقوع الحادث فقال ساهماً:

لا تزال العناصر الأصلية تنقصني يا «توني».. ولكني أعرف شيئاً واحداً فقط، هو أن مرتكب هذه المجزرة قد أعد خطته في إحكام غريب.. فاليد التي استخدمت هذا السكين لم ترتعد قط لأن صاحبها يمتاز برباطة الجأش وقوة الأعصاب.. ولكن هل تستطيع أنت أن تفسر لي كيف لم نجد أثراً البتة للدماء لا في القارب ولا هنا. على أننا على يقين من أن الضحيتين قد نزفتا دماءهما، وأن الهرة قد وطئت هذه الدماء بأقدامها؟

ولم ينتظر «كولت» إجابتي بل مضى نحو الباب قدماً ثم غادر الحجرة.. ولبثت جالساً بالقرب من النافذة أجهز مذكراتي عندما سمعته يدعوني من الردهة، فهرعت نحوه ووجدته راكعاً على الأرض يمر بضوء مصباحه على الألواح الخشبية، فركعت بجواره وإذا بي أرى خطين متوازيين من بقع صغيرة حمراء داكنة، خلفتها أقدام هرة ملوثة بالدماء.. فأخرجت من حافظتي (الفيش) الذي طبعت عليه بصمات

أكف الهرة التي وجدت في القارب، ورحنا نقارن بينهما وبين هذه الآثار، فكانت متماثلة متطابقة كل التطابق. . .

وتنهد «كولت» في حيرة، وهو يغمغم:

ولكن كيف لا يوجد أي أثر للدماء في حجرة الاستقبال، على حين أن اتجاه هذه الآثار يدل على أن الهرة خرجت منها ومضت نحو الدرج؟

وقبل أن نفكر في جواب هذا السؤال سمعنا صوت الباب الخارجي يفتح وإذا بصوت «دوجرتي» يجلجل وهو يصيح:

ـ مرحى يا «كولت». . لله درك من رجل عظيم!. . ولكن كيف اكتشفت هذا المنزل بحق الشيطان؟

وابتسم رئيسي وانتظر حتى تكامل جمع الرجال في حجرة الاستقبال، ثم راح يلخص لهم كل ما مر بنا، وأخيراً قال:

والآن أريدك أيها المفتش «فيجلي» أن تأمر بالبحث في قاع النهر أمام الحديقة، عن مسدس، وآلات للنجارة، كما أريد أن تفتش الحديقة عند طلوع النهار وتلتقط صور جميع الآثار والبصمات التي تجدها سواء فيها أو في المنزل. . كذلك ينبغي أن تتحرى عما إذا كان أحد الجيران قد سمع طلقات نارية، وأن تتحقق من أقوال «كراوس». . وأخيراً أريد أن تطلعني على كل ما تجده أولاً بأول في منزلي. .

وبعد لحظات كنت بجواره في السيارة وهي تطوي الأرض إلى العنوان الذي ألقاه «كولت» على السائق. . إلى منزل القتيل. .

ـ ٣ ـ

وقفت السيارة وترجلنا، فرأيت أمامي بناء متواضعاً تحيط به حديقة صغيرة. .

وقد شيد على الطراز القوطي بنوافذه الطويلة العتيقة وبرجه المدبب.. فاجتزنا الفناء ومضينا إلى الباب - حيث أضاء «كولت» مصباحه الكهربائي - فرأينا لوحة سوداء نقش عليها بحروف مذهبة اسم كنيسة القديس «ميشيل»، وتحتها ما يفيد أن المحترم «تيموني بيزلي»، راعي الكنيسة، يقطن المنزل المجاور.. فانتقلنا إليه، وكان منزلاً عتيق الطراز تكسو واجهته بعض النباتات المتسلقة، فأدهشني أن أرى الضوء ينبعث من عدة نوافذ بالطابق الثاني، رغم أن الساعة قد بلغت منتصف الثالثة صباحاً..

وارتقينا الدرجات القليلة المؤدية إلى الباب، حيث قرع «كولت» الجرس، فإذا بالباب يفتح في الحال وإذا بي أرى شاباً قصير القامة يمسك شمعة بيده، فعراني شعور عجيب من النفور لدى رؤيته، لا ريب أن سببه تلك النظرة الجوفاء التي راح يحدقنا بها من عينين متباعدتين مستديرتين لا تتحرك حدقتاهما.. فسأله «كولت»:

- هل عاد المحترم «تيموتي بيزلي»؟

فلم يزد الشاب على أن هز رأسه نفياً.. فاستطرد «كولت»:

- ألم تتلقوا نبأ منه؟

فكرر الشبح - كما خيل إلي - حركة رأسه.. ولكن «كولت» لم ييئس، فقال:

- هل المسز «بيزلي» هنا؟..

وفي تلك اللحظة سمعنا ضوضاء خافتة، هي وقع أقدام سيدة تهبط الدرج وقد لاح وجهها الشاحب وسط الظلام كهالة من الضوء..

واقتربت «إليزابيت كرتنوود بيزلي» منا في هدوء ورزانة يثيران الإعجاب. وكانت فارعة الطول بادية القوة، تنم طريقة ترجيل شعرها المخطط بالشيب وثوبها الأسود البسيط على ميلها للزهد والتقشف مع

صرامة وتدين خليقين بامرأة أحد رجال الدين.. فقدم «كولت» نفسه إليها وسألها إن كانت مسز «بيزلي».. فأجابت:

- نعم.. هل تحمل إلي أنباء عن زوجي؟

- ألم يعد بعد؟

- كلا فقد خرج المحترم «بيزلي» في الساعة الثامنة على أن يعود قبيل منتصف الليل... هل أصابه سوء؟

- لست أدري بعد.. فهل في وسعك أن ترينا صورته؟

فتنحت مسز «بيزلي» عن الباب وهي تومىء لنا بالدخول، بعد أن أضاءت النور، ثم تقدمتنا إلى حجرة استقبال صغيرة.. ولم تكن بي حاجة إلى أن تشير لنا إلى صورة زوجها، فقد كانت فوق المدفأة صورة كبيرة بالحجم الطبيعي تبينا فيها للتو قتيل القارب..

وكانت مسز «بيزلي» شديدة الشحوب، ولكنها كانت متماسكة تسيطر على نفسها تماماً، فقالت أهو نفسه؟

فأجابها «كولت»:

- الأفضل أن تجلسي أولاً يا مسز «بيزلي»..

وعادت المرأة تسأل في إصرار بصوت ثابت النبرات:

- ما الذي حدث للمحترم «بيزلي»؟

وقبل أن يجيب «كولت»، كان الشاب الذي فتح لنا الباب يتقدم نحوه مسرعاً وهو يهتف: ما الذي حدث لـ«تيم (تيموتي)»؟ إن «تيم» لا يصيبه شيء أبداً.. إنه.. إنه الرجل الذي لا يصيبه سوء قط..

فأمسكت مسز «بيزلي» بيده وأجلسته إلى جوارها، وهي تقول:

- إنه أخي.. «بادنجتون كرتنوود».. ولكن هل زوجي على قيد الحياة أم.. أم...

- لقد مات يا سيدتي...

فأغمضت الأرملة عينيها.. وعندئذ لم يبد عليها ما ينم عن الصدمة المروعة التي أصابتها.. فلم يزدد وجهها شحوباً، ولم تتسارع أنفاسها أو تتلاحق.. أما «بادنجتون» فراح ينظر إلينا نظرة غامضة منفرة قد تعني أشياء كثيرة، أو لا شيء البتة... وظلت مسز «بيزلي» برهة ساكنة بلا حراك، مغمضة العينين، يحيط بها صمتنا وقد احترمنا حزنها... وأخيراً نهضت في بطء، وهي تجر أخاها من يده، ثم واجهت «كولت» قائلة:

- معذرة، فينبغي أن أدعو أخي الثاني تليفونياً، وبعد ذلك سوف تقودني إلى جوار زوجي الراحل.. أما الآن فإني في حاجة إلى بضع دقائق حتى استوعب هذا النبأ المروع...

فانحنى «كولت» أمامها ثانية وهو يقول:

- سوف ننتظرك هنا يا مسز «بيزلي»...

وما كادت السيدة وأخوها ينصرفان من الحجرة حتى تحول «كولت» نحوي، وإصبعه على فمه محذراً من النطق بأية كلمة، ثم اتخذ كل منا مجلسه في صمت ننتظر عودة الأرملة، وانتهزت الفرصة لتأمل صورة القس، فراعني أن ألمح في أسارير الرجل ما ينم على مرارة دفينة في نفسه، وثورة على الحياة والواجب معاً.. كانت صورة «تيموني بيزلي» تمثل رجلاً به ميل إلى الحب والشهوة، وكانت عيناه تفيضان بالحيوية والرغبة، مما لا يلائم الثوب الكهنوتي الذي يرتديه...

وبينما كنت مستغرقاً في خواطري، إذا برجل يقتحم الغرفة بغتة، ويقف أمام «كولت» قائلاً:

- إنني «جيرالد كرتنوود»، أخو مسز «بيزلي».. فهل لك أن تخبرني بما حدث؟ فرمقه «كولت» بنظرة فاحصة قبل أن يجيب.. وكان «جيرالد كرتنوود» قصير القامة، تشبه عيناه الزرقاوان عيني

أخته، كما تتشابه حركاتهما...

فلما قص عليه «كولت» تفاصيل الحادث صاح:

- يا إلهي!.. هذا أمر فظيع.. إنني لا أكاد أصدق ما أسمعه..

ومع ذلك فقد لاحظت أنه كان يصغي إلى حديث «كولت» في انتباه، دون أن يبدي حركة أو ينطق بحرف ينم على الانفعال أو التأثر.. وأخيراً سأله «كولت»:

- هل تستطيع أن ترشدني إلى شخصية المرأة يا مستر «كرتنوود»؟

- مطلقاً.. فإنني لا أكاد أستطيع تعليل الوقائع التي ذكرتها لي.. وكل ما يمكنني أن أقطع به هو أن هذه المرأة لا تعني شيئاً بالنسبة للمحترم «بيزلي»، ولا تلعب أي دور في حياته.. فقد كان يحب أختي ويخلص لها كل الإخلاص..

فلم يذكر «كولت» كلمة واحدة عن الخطاب الغرامي، واكتفى بأن سأله:

- هل تعتقد أن مسز «بيزلي» قد أتمت استعدادها لمصاحبتنا إلى معرض الجثث؟

فوثب الرجل على قدميه كالملسوع، وهو يقول:

- وهل ذهابها ضروري يا مستر «كولت»..؟ إنني على استعداد للذهاب معكم والتعرف على الجثة حتى نجنب أختي هذا المنظر الأليم..

- آسف يا مستر «كرتنوود».. لا بد من ذهاب مسز «بيزلي» نفسها..

وخضع الرجل للأمر، والغضب يعصف بنفسه، ولكنه كان كأخته. قديراً في السيطرة على شعوره..

ولم تمض لحظات حتى كان الإخوة الثلاثة يخرجون معنا من باب المنزل، ويخترقون نطاق الجند الذي ضرب حوله وحول الكنيسة معاً ليمنع خروج أحد إلاّ بإذن السلطات المختصة.. فألقت مسز «بيزلي» نظرة باردة على رجال الشرطة ولكنها لم تقل كلمة واحدة عنهم.. وقادها «كولت» وأخويها إلى السيارة ثم عاد ليسأل عن الشرطي الذي كان يقوم بالنوبة في تلك المنطقة هذه الليلة، حتى إذا ما وجده سأله إن كان قد رأى شيئاً مريباً في المنزل أو في الكنيسة أثناء نوبته فأجاب:

ـ كلا يا سيدي الرئيس.. غير أنني حوالي الساعة الحادية عشرة والنصف رأيت بضعة أشخاص يدخلون المنزل.. ولكن لم ألق بالاً إليهم..

ـ أكانوا رجالاً أم نساء؟

ـ أعتقد أنهم كانوا من الجنسين معاً..

ومضت بنا السيارة إلى معرض الجثث حتى إذا ما دنا آل «كرتنوود» الثلاثة من القارب، وقفوا جميعاً مسمرين في أماكنهم يحدقون في المنظر المروع أمامهم دون أن تبدو من أحدهم صيحة أو إشارة.. وأخيراً لمس «جيرالد» ذراع أخته فاستدار الثلاثة ليواجهوا رئيس البوليس والأرملة تقول في صوت ثابت النبرات:

إنه زوجي.. المحترم «تيموني بيزلي»..

ـ والمرأة.. هل تعرفينها؟

فأغمضت «إليزابيث» عينيها، على حين تقدم «جيرالد» قائلاً:

ـ نعم.. إنني أعرفها.. فهي امرأة تدعى مسز «سوندرز» كانت ترتاد كنيستنا خلال الأعوام الثلاثة أو الأربعة الماضية..

ـ أتعرف أين تقيم؟

ـ نعم ـ ٢٤ شارع «مانزكورت»..

ـ شكراً.. وهل في وسعك أن تزودني ببعض المعلومات عن

حياتها الخاصة؟..

- أظن أن زوجها «ويلي سوندرز» يشتغل حارساً ليلياً.. كما أن لها ابنة تدعى «إيزابيلا»..

ودارت عينا «كولت» في وجوه الثلاثة، لتقابل نظرات «جيرالد كرتنوود» المتحدية، ونظرات مسز «بيزلي» الجامدة، وابتسامة أخيها الأصغر الماكرة.. وما لبث أن تركهم ومضى إلى جانب من القاعة، حيث دعا أحد رجال الشرطة فكلفه بأن يذهب إلى العنوان الذي ذكره «جيرالد»، ويضرب حوله نطاقاً من الحراس، ثم يطلب إلى «ويلي سوندرز» وابنته «إيزابيلا» مرافقته إلى المعرض للتعرف على جثة المرأة، وبعد ذلك يحضرهما إلى منزل «كولت» الخاص..

وعاد الرئيس إلى أرملة القتيل وأخويها، قائلاً:

- إنني أرجو الآن أن ترافقوني إلى مسكني، فلدي بضعة أسئلة أريد أن أطرحها عليكم، بعيداً عن فضول الصحفيين..

فتقدم «جيرالد» قائلاً:

- إنني أسألك للمرة الثانية يا مستر «كولت»: هل ترى ذلك ضرورياً؟

- لا مناص من ذلك...

- هل لك إذن أن تسمح لي بكلمة على انفراد؟..

- بلا ريب.. تعال يا «توني»..

فلما بعدنا عن الجميع قال «جيرالد» في صوت خافت:

- إنه بشأن أخي «بادنجتون» يا مستر «كولت».. فلعلك لاحظت أن المسكين مصاب بالعته وغير مالك لقواه العقلية تماماً.. ولست أعني أنه مجنون، فهو ليس من ذلك في شيء..

- لماذا اخترت هذا الوقت لتقول لي ذلك؟

- ألا يمكنك أن تعفي «بادنجتون» من الاستجواب؟.. إنه..

ـ إنك لم تجب على سؤالي.. لماذا اخترت هذه اللحظة؟
ـ لأني لست أدري ما الذي يمكن أن تفيده من سؤال شخص ضعيف العقلية مثله؟
ـ هذا بالذات ما أريد أن أعرفه يا مستر «كرتنوود»!..

ـ ٤ ـ

كان الطابق الثالث من منزل «تاتشر كولت» لا يحوي إلاّ حجرة واحدة هي المكتبة الفسيحة ذات الأثاث الوثير والمقاعد الكبيرة المريحة.. وكان الرئيس قد عزم على استجواب أسرة «القس» في تلك الحجرة، ولكنه كان يريد الانفراد بنفسه بعض الوقت للعناية ببعض التفاصيل الخاصة بالقضية، فأمر بأن تجلس مسز «بيزلي» وأخواها في قاعة الاستقبال بالطابق الثاني، ثم مضى إلى جناحه الخاص بعد أن طلب إليّ أن أسبقه إلى المكتبة حيث كان «دوجرتي» ـ «فيجلي» وبعض المفتشين في الانتظار..

وما كاد وكيل النيابة يراني حتى هتف ساخراً:
ـ ألم يأت رئيسك بمعجزات جديدة أيها الفتى؟
ـ لقد إكتشفنا شخصية القتيلين...

ثم رحت أقص عليهم ملخص ما حدث في النصف الساعة الأخير، وما أن فرغت من حديثي حتى دخل «كولت» الحجرة وهو يتوثب نشاطاً ويتدفق حيوية، فقال:
ـ وأنت يا «دوجرتي».. ألم تكتشف شيئاً في منزل «سانجستر تراس»؟
ـ نعم، ولا... ولكننا على كل حال قد حددنا ساعة وقوع الجريمة...
ـ مرحى! مرحى!.. في أية ساعة؟

ـ لقد اتفقت أقوال اثنتين من الجيران على أنها كانت التاسعة إلا ربعاً عندما سمعتا طلقين ناريين بينهما نحو ثلاث دقائق.. وأولى الشاهدتين حددت الوقت تماماً لأنها كانت تتناول دواء في تلك اللحظة والساعة بيدها.. والأخرى كانت في طريقها إلى السينما، ولما كانت الحفلة تبدأ في التاسعة فإن شهادتها تتفق مع شهادة الأولى.. وقد سمعت من هذه أن القتيلين كانا يرتادان منزل الجريمة بانتظام منذ عامين، وكثيراً ما رأتهما يتنزهان في الحديقة على ضوء القمر في ليال عديدة.. وثمة شيء آخر ذكرته تلك الشاهدة، ذلك أنها منذ شهرين كانت تسمع طرقات ثقيلة في ذلك المنزل مما يؤيد نظريتك من أن القارب شيد في الحجرة الكبرى بالطابق الأسفل.

فأمر «كولت» «فيجلي» بالتحري لدى بائعي الخشب وأدوات النجارة لعل أحدهم يستطيع أن يذكر شيئاً عمن اشترى هذه الأدوات.. ثم تحول نحوي وأمرني بأن أطلع الحاضرين على الخطاب الغرامي والبرقية، وكذلك تفتيش منزلي القتيلين والكنيسة.. واستطرد قائلاً:

ـ لقد استطعت الآن أن أجمع بعض المعلومات عن آل «كرتنوود» هؤلاء.. فقد ولدت مسز «بيزلي» في عام ١٩٢٠، أي أنها الآن في السادسة والأربعين، وهي تنتمي إلى أسرة غنية من أصحاب المصانع، كما ورثت ثروة طيبة وهي في الخامسة والعشرين، ثم تزوجت المحترم «بيزلي» في «شيكاغو» غداة فصم خطوبتها للكولونيل «باول» المحامي المعروف.. وسوف ترون الآن أناساً غريبي الأطوار شديدي التكتم بارعين في إخفاء حقيقة مشاعرهم خلف ستار من الجمود والصرامة..

ولم أدر ما الذي ينتظره «كولت» لإحضار الأرملة، ولكني أدركت السر عندما سمعت مقبض الباب يتحرك من الخارج، ففهمت أن «كولت» يريد الحصول على بصمات أصابع الشهود فلجأ إلى خدعته

المعروفة، وهي استبدال المقبض الأصلي بآخر من طراز خاص تنطبع عليه بصمات أصابع كل من يفتح الباب..

وطلب إلي «كولت» أن أنزل لإحضار مسز «بيزلي» وحدها، على أن تفتح الباب بنفسها مهما يبدو في مسلكي هذا من فساد الذوق.. فما كاد الإخوة الثلاثة يرونني حتى نهضوا واقفين، فذكرت لهم أنني مكلف بدعوة مسز «بيزلي» وحدها.. وعندئذ ثار «جيرالد كرتنوود» وصاح في وجهي:

- إنني أعترض على ذلك بكل قواي، فإن أختي متعبة بحيث لا تستغني عن وجودي بجوارها.. أين مستر «كولت»؟

ولكن مسز «بيزلي» نظرت إليه في هدوء غريب وقالت:

- لا تعترض يا «جيرالد»، فإنني أضع نفسي تحت تصرف رئيس البوليس.. يا إلهي! لو أن الكولونيل «باول» كان هنا لأنقذني من هذه المحنة..

- ولكن الباخرة التي تقله لن تصل إلاَّ غداً،

إنني يا مستر «أبوت» أريد أن أتحدث إلى رئيسك لأقنعه بأن أختي في حالة لا تحتمل معها استجواباً الآن.

ومن جديد قالت الأرملة:

- إنك مخطيء يا «جيرالد».. خذني إلى رئيسك أيها الشاب..

وغادرت «إليزابيث كرتنوود بيزلي» قاعة الاستقبال مرفوعة الرأس، ثم مضت نحو الدرج أمامي، حتى إذا ما أشرت لها إلى باب المكتبة، واجهتني في دهشة من سوء أدبي.

واستقبلها الرجال وقوفاً، ثم قدم إليها «كولت» مقعداً خاصاً وسط هالة من الضوء زادت من شحوب وجهها وامتقاعه..

وبدأ «كولت» يسألها عن اسمها وعمرها وتاريخ زواجها، فقالت إنها تزوجت من المحترم «بيزلي» منذ اثني عشر عاماً واستطرد:

ـ متى خرج زوجك من المنزل مساء الأمس؟ وهل أخبرك إلى أين كان ذاهباً؟

ـ خرج حوالي الساعة الثامنة.. وكان قد أخبرني أنه سيشتغل في مكتبه حتى منتصف الليل، كما رأيته يجتاز الممر الداخلي الموصل من المنزل إلى الكنيسة.. وقد ظل النور مضاء في مكتبه ولكنه خرج دون أن يخبرني، فلم أعلم بخروجه إلاّ عندما ذهبت إليه في منتصف الليل لأنبهه إلى الوقت فلم أجد أحداً في المكتب..

ـ ألا ترتابين في سبب خروجه الفجائي؟..

ـ كلا.. ما لم يكن السبب الحديث التليفوني الذي سمعته يتبادله قبيل العشاء.. ولم أعرف من الذي كان يحادثه، فقد قرع التليفون في الساعة السابعة إلاّ ربعاً، وكان زوجي وقتئذ يحلق ذقنه في الحمام، إذ كان غائباً عن المنزل طول اليوم! فخرج ووجهه مغطّى بالصابون ليجيب على التليفون فسمعته ـ دون أن أتعمد الإصغاء إلى حديثه ـ يقول «هاللو».. ثم سكت لحظة، وأخيراً قال «حسنٌ. سوف أكون هناك في الساعة الثامنة».

ـ أتظنين أن محدثته كانت مسز «سوندرز»؟..

فرفعت مسز «بيزلي» رأسها في أنفة، وقالت: لا أدري..

ـ أكنت على علم بالعلاقة التي كانت بينهما؟..

ـ إن هذه العلاقة المزعومة لم توجد قط.. فقد ظل المحترم «بيزلي» مخلصاً لي..

ـ ألم يخطر لك الطلاق منه يوماً؟

ـ إن آل «كرتنوود» لا يعرفون لهذه الكلمة وجوداً، فمتى تزوج أحدنا كان زواجه أبدياً..

ولم يشر «كولت» أية إشارة إلى الخطاب الغرامي الذي وجد في جيب «القس»، واستطرد: وكيف تعللين وجود جثتيهما في هذا التابوت العائم معاً؟.. ألا يوحي ذلك بوجود علاقة بينهما؟..

ـ لا شيء من ذلك البتة.. أفليس من أخص أعمال «القس» أن يستمع إلى اعترافات أبنائه ومتاعبهم في خلوة؟ ثم إن مسز «سوندرز» كانت كثيراً ما تلجأ إلى نصائح زوجي وإرشاداته، فزوجها «سوندرز» كثير الشراب شرير. وقد ذكر لي المحترم «بيزلي» أن ذلك الرجل كان يضرب زوجته أمام ابنتها وهي فتاة في الخامسة عشرة مما يعد أمراً غير لائق.. وإذا كنت لا أستطيع تعليل سبب مصرع زوجي العزيز الطاهر إلاّ أنني أقطع بأن وجود الجثتين معاً لا ينبغي تأويله تأويلاً سيئاً..

ـ إذن فقد كانت الساعة الثامنة تقريباً عندما رأيت المحترم «بيزلي» للمرة الأخيرة؟.

ولم تجب المسز «بيزلي» لأول وهلة.. ولاحظت أنها تعصر يديها في قوة.. ولبثنا ننتظر الاجابة على هذا السؤال العادي الذي ألقاه «كولت» دون غرض معين.. وأخيراً قالت:

ـ نعم.. لقد كانت الساعة قبيل الثامنة عندما رأيت زوجي للمرة الأخيرة على قيد الحياة..

ـ هل يمكنك أن تخبرينا كيف قضيت سهرتك؟..

ـ عندما فرغت من العشاء رحت أرتب معدات رحلة كنا نزمع القيام بها غداً ـ أعني اليوم ـ للترفيه عن أطفال الأبرشية، على عادتنا كل عام منذ أحد عشر عاماً.. وبعد ذلك أويت إلى حجرتي لأكتب بضعة خطابات.. ثم رحت أقرأ نحو ساعة في كتاب ديني..

ـ ومتى فرغت من القراءة؟

ـ حوالي الساعة العاشرة...

ـ ومتى بدأت تقلقين لغياب زوجك؟ . .

ـ عند منتصف الليل . .

ـ هل سهرت إلى تلك الساعة؟ . .

ـ كلا . . فبعد أن تلوت صلواتي أويت إلى فراشي ، ولعلي رحت في نوم غير عميق، لأنني استيقظت بغتة وبي فزع خفي إذ كان المنزل موحشاً، مظلماً . . ونهضت من الفراش وذهبت إلى الكنيسة فوجدت النور مضاء في مكتب زوجي ولكنه لم يكن هناك. وانتابني القلق فطلبت أخي «جيرالد» في التليفون، فهدأ من روعي ولكنه طلب إلي أن أتصل به ثانية إذا لم يعد المحترم «بيزلي» حتى الساعة الثانية . . فلم أنم بعد ذلك ورحت أتلهى بحياكة بعض الجوارب حتى جاء رجل الشرطة وسأل عن زوجي . . وأنت تعرف البقية . .

ـ هل اتصلت بمستر «كيرتنوود» لتخربيه بسؤال الشرطي؟

ـ نعم . . وقد أجاب أخي بأنه سيحضر للتو . . ولكنك سبقته بدقائق يا مستر «كولت» . .

ـ ألم تسألي زوجك عن الموعد الذي حدده في حديثه التليفوني؟ . .

ـ إنني لا أوجه سؤالاً إلى زوجي البتة، فيما يختص بعمله . . وهو يخبرني بما يطيب له أن يخبرني به . . .

ـ ألم يقم برحلة منذ عهد قريب؟

ـ إنه لم يبرح «نيويورك» منذ ستة شهور . .

ـ ألا يقيم أحد في المنزل سواك وزوجك ومستر «بادنجتون» أخيك؟ . .

ـ كلا . . .

ـ هذا ما لاحظته . . ولكن هل في وسعك أن تخبريني عن الأشخاص الذين دخلوا المنزل في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلة

الأمس؟

فواجهته بنظراتها الثابتة برهة ثم قالت في صوت هادىء وديع:

ـ إن أحداً لم يدخل منزلي في تلك الساعة..

ـ هذا يتعارض مع ما قرره الشرطي من أنه رأى جمعاً من الناس يدخلون المنزل في هذا الوقت.. ولكن دعينا من ذلك الآن يا مسز «بيزلي» وخبريني هل كان لزوجك أعداء؟.. وهل كان محل تهديد من أحد؟..

ـ نعم...

فخرج «دوجرتي» عن طوره وصاح:

ـ آه!. هل تعرفين حقاً اسم قاتله؟.

ـ كلا.. لقد سألني المستر «كولت» إن كان لزوجي أعداء فأجبته بالإيجاب..

ـ من تقصدين يا مسز «بيزلي»؟

فترددت لحظة قبل أن تجيب: «ويلي سوندرز»..

ـ ماذا؟.. زوج الـ..

ـ نعم.. زوج المرأة التي وجدت ميتة بجانب المحترم «بيزلي».. وقد كان زوجي يريد التقدم للمحكمة لسلب ولاية هذا الوحش على ابنته، فلما علم «ويلي سوندرز» بذلك ثارت ثائرته وهدد «القس» بالقتل..

ـ هل سمع أحد هذا التهديد؟

ـ ملاحظ الكنيسة وبعض أعضاء الأبرشية.. وكان ملاحظ الكنيسة هو الذي أبلغني.

وبعد صمت يسير سأل «كولت» المفتش «فيجلي» إن كانوا قد وجدوا «ويلي سوندرز»، فأجابه أنه وابنته اقتيدا إلى معرض الجثث حيث تعرفا على الجثة الثانية، وأنهما سوف يكونان هنا بعد قليل..

فتحول «كولت» نحو الأرملة قائلاً:
ـ لقد أفادتني شهادتك كثيراً يا مسز «بيزلي».. ولم يبق إلاّ مسألة واحدة أود أن أخبرك بها.. ذلك أن مصلحة التحقيق، وسرعة القبض على قاتل زوجك يقتضيان أن نعرف الكثير عن حياته الخاصة.. وبمعنى آخر قراءة أوراقه جميعاً، أي أن الأمر يدعو إلى تفتيش المنزل.. ولذلك فسوف يصحبك الآن المفتش «فيجلي» واثنان من رجاله وأرجو أن تسهلي لهم القيام بواجبهم...

فنهضت مسز «بيزلي» وواجهت «كولت» قائلة في برود وكبرياء:

ـ إنني لا أعرف شيئاً في القانون.. ولكن هل ينبغي أن أخضع لهذا الإجراء الشاذ؟

فأجابها «كولت» وهو ينهض بدوره: كلا...

ـ إذن فإني أرفض..

فتدخل «دوجرتي» في حماس:

ـ لن يجديك هذا الرفض كثيراً، لأننا سوف نجد أنفسنا مضطرين إلى حجزك هنا حتى تفتح المحكمة أبوابها ونحصل على أمر قانوني بالتفتيش..

فرمت مسز «بيزلي» أسلحتها، ورضخت للأمر الواقع.. وعندئذ صحبها المفتش «فيجلي» ليعود معها إلى منزلها، خارجين من باب الخدم..

فلما انصرفت الأرملة وكبير المفتشين، قال «كولت»:

ـ أما وقد حصلنا على بصمات أصابع الأرملة، فلنر أخاها الصغير. هل لك يا «توني» أن تأتي بمستر «بادنجتون كرتنوود»؟

وتركته يلقي أوامره على بعض المفتشين بسماع شهادة ملاحظ الكنيسة وغيره ممن سمعوا تهديد «ويلي سوندرز» للـ«قس».. وأخيراً عدت أدفع أمامي «بادنجتون كرتنوود» المسكين الذي لم يكن يعلم

شيئاً عن انصراف أخته، ولذلك ما كاد يجتاز باب المكتبة حتى صاح بصوت متهدج تخنقه العبرات: أين «إليزابيث» ؟

فأخذه «كولت» بالرفق والدعة.. ولكن المعلومات التي قالها لم تقدمنا خطوة إلى الأمام. ويمكن تلخيصها في أنه أوى إلى فراشه في الساعة العاشرة.. غير أن أخته أيقظته عند منتصف الليل ليجلس معها.. ولم يسمع «أوير» شيئاً البتة.. وكان يتخلل إجابته بين آن وآخر سؤال واحد لا يتغير وهو: أين «إليزابيث» ؟

وفي النهاية صرفه «كولت» ليعود إلى منزله في رفقة أحد رجال الشرطة.. وما لبث أن حل محله أخوه الأكبر الذي دخل المكتب صاخباً يهدر كالثور الهائج:

ـ لقد علمت من سكرتيرك أنك أرسلت أختي إلى منزلها بمفردها مع بعض رجال الشرطة، وهذا تصرف غير مفهوم يا مستر «كولت»..

فحدجه «كولت» بنظرة صارمة وهو يقول:

ـ اجلس يا مستر «كرتنوود».. ولا ريب أنك لا تقل عنا رغبة في الوصول إلى قاتل المحترم «بيزلي»؟..

فجلس «جيرالد» وهو يقول:

ـ إن اهتمامي بالأحياء يفوق رغبتي في الانتقام للموتى..

ـ إنها عاطفة مشكورة.. والآن دعني أحدثك حديث الرجل للرجل، فهل كنت على علم بالعلاقة التي بين «بيزلي» و«إيفلين سوندرز»؟..

ـ لا، وبحق.. فإن زوج أختي لم يكن رجلاً فاضلاً فحسب، وإنما كان مثال الرجل المهذب، ولا يمكن أن يحب زوجة حارس ليلي..

فأحنى «كولت» رأسه لحظة ثم ألقى عليه هذا السؤال:

ـ هل لك أن تخبرني أين وكيف قضيت ليلة الأمس يا مستر «كرتنوود»؟

ـ ماذا؟.. هل تشك في أنني قتلت زوج أختي؟

ـ إنني قلما أجيب عن الأسئلة يا مستر «كرتنوود».. فعملي ينحصر في إلقائها!.. فهز الشاهد رأسه، ثم قال:

ـ هل تريد أن تعرف ما فعلته مساء الأمس؟ حسناً.. مهلاً لحظة.. أجل، لقد تعشيت مع زوجتي وابنتي «مرجريت» وخطيبها، وابني الصغير.. ثم أمضيت السهرة في المنزل أقرأ حيناً وأصغي إلى الراديو حيناً..

ـ إلى أية ساعة ظللت تسمع الراديو؟..

ـ إلى الساعة العاشرة، ثم أويت إلى الفراش كعادتي دائماً..

ـ وما الذي فعله بقية أفراد الأسرة؟..

ـ لقد أوت زوجتي إلى الفراش في نفس الوقت.. أما ابنتي فقد ذهبت إلى السينما مع خطيبها.. على حين ذهب ابني الأصغر إلى حجرته مبكراً واستغرق في نوم عميق.. ولا ريب أني كدت أستغرق أنا الآخر مثله لولا أن أيقظتني أختي حوالي منتصف الليل لتعرب لي عن قلقها على «تيم»، ثم عادت واتصلت بي لتخبرني بحضور أحد رجال الشرطة ليسأل عن «القس» المحترم، فأسرعت بارتداء ثيابي وهرعت إليها فوصلت بعدك بقليل..

وتمهل «كولت» لحظة ريثما أشعل غليونه، ثم قال:

ـ هل لك أن تخبرني عن برنامج الراديو الذي كنت تسمعه بين الساعة الثامنة والعاشرة من مساء الأمس يا مستر «كرتنوود»؟..

فتورد وجه الشاهد حنقاً وغضباً، وقال:

ـ لست أفهم الحكمة من هذا السؤال يا سيدي..

ـ إن حكمته مع ذلك واضحة لا تخفى على رجل في مثل

فطنتك يا مستر «كرتنوود».. ومع أنني ليس لدي ما يبرر اتهام أسرة القتيلين بارتكاب هذه الجريمة، إلاّ أنّ من واجبي تحديد ما فعله كل منهم في الوقت الذي حدث فيه القتل.. وقد قلت لي إنك كنت تستمع إلى الراديو، ولذلك كان من المعقول أن أسألك عن البرنامج الذي أصغيت إليه..

- إنني لا أذكره..

- هـذا من سـوء الحظ.. فليس في وسعي أن أقنـع بهـذه الإجابة..

- لقد كنت أقرأ صحيفة مسائية، فأدرت الراديو حيثما اتفق.. كما أنني لم أنصرف إلى السماع تماماً ولذلك لا أذكر اسم المحطة ولا البرنامج..

- هـلا بذلت مجهـوداً يسيـراً في إيقـاظ ذاكـرتـك يـا مسـتر «كرتنوود»؟ ألا يمكنك أن تذكر إن كنت قد سمعت محاضرة، أو قطعة موسيقية مثلاً؟..

- آه الواقع أنها كانت موسيقى.. موسيقى راقصة..

فاكتفى «كولت» بهذا القول، ونهض قائلاً: سوف نتقابل ثانية بعد الظهر يا مستر «كرتنوود»..

فلما خرج «جيرالد كرتنوود»، تنهد «كولت» وقال: يؤسفني أيها السادة أن أخبركم بنبأ سيء هو غرق الباخرة «أوكسين» أمام ساحل «فلوريدا» ليلة الأمس وفقد كثير من الضحايا..

فنظر إليه «دوجرتي» في دهشة.. وكنت لا أقل عنه عجباً، إذ لم أدر مـا العلاقـة بـين هـذه الكـارثـة البحـريـة وبـين القضيـة التي نحققها.. ومع ذلك فقد جلا «كولت» هذه النقطة، عندما استطرد قائلاً: وكانت جميع محطات الإذاعة قد توقفت حتى لا تشوش نداء الاستغاثة الذي تبعثه الباخرة، أي أنه في الوقت الذي قتل فيه «بيزلي»

و«إيفلين سوندرز» لم تكن هناك محطة إذاعة واحدة تذيع موسيقى راقصة.. أو غير راقصة..

ـ ٥ ـ

وثب وكيل النيابة على قدميه دفعة واحدة وهو يصيح:

ـ أعيدوا هذا الوغد إلى هنا.. اقبضوا عليه سريعاً، هذا المنافق الكذاب!

فهدأ «كولت» من روعه باسماً وهو يقول:

ـ مهلاً يا «دوجرتي»!.. أية فائدة ترجى من إشعار «كرتنوود» بأننا نعلم أنه قد كذب علينا؟ أليس الأفضل أن ندعه مطمئناً ثم نراقبه جيداً؟

وتحول إلى المفتش «لنجل» فكلفه بأن يضع وراء «جيرالد كرتنوود» من يقتفي أثره ليلاً ونهاراً، وأن يتحرى أكبر قسط من المعلومات عن أسرتي القتيلين، وعن مسألة تهمه كثيراً ويريد جلاءها وهي: هل كانت علاقة «القس» بـ«إيفلين» معروفة بين أفراد الأبرشية..

وأردف قائلاً:

ـ إن أغرب نقطة في القضية في نظري هي إصرار الأسرة على إنكار هذه العلاقة، مع أنه ما من ريب في وجودها، وفي علم آل «كرتنوود» بها.. ولعلهم ينكرونها درءاً للفضيحة، ولكن في مثل هذه القضية الخطيرة يجب أن يعرف البوليس كل شيء..

فلما مضى المفتش «لنجل» لتنفيذ مهمته أمرني «كولت» بإحضار «ويلي سوندرز» وابنته، على أن أستوثق أولاً من أن الخادم قد أبدل أكرة الباب بأخرى (عذراء)

ووجدت الرجل وابنته متلاصقين على إحدى الأرائك، وقد

هدهما الحزن والفزع، والفتاة تبكي بكاء أليماً. . وكان «ويلي سوندرز» رجلاً مفتول العضلات قصير القامة طويل الذراعين، على حين كانت ابنته ـ وهي لا تعدو الخامسة عشرة ـ نحيلة القوام لا تخلو طلعتها من وسامة. . .

واقتدتهما أمامي إلى المكتبة، فجلسا متجاورين أمام «كولت» و«دوجرتي». . ويدأ الرئيس أسئلته قائلاً: ما الذي تعرفه عن رقم ١٣ «سانجستر تراس» يا مستر «سوندرز»؟

فنظر إليه الرجل وهو لا يزال وجلاً مذعوراً، وقال:

ـ لا شيء. . إنها المرة الأولى التي أسمع فيها هذا العنوان. . .

ـ ألا تعلم أن زوجتك كانت تذهب إلى هناك دائماً؟

ـ هذا كذب. . وكل من تسول له نفسه بأن يذكر زوجتي بسوء فسيكون لي معه شأن وأي شأن. . لقد كانت «إيفلين» زوجة مخلصة وأماً عطوفاً. . .

ـ ما مهنتك؟

ـ حارس ليلي لليخت «فالبانت» الذي يملكه الكومودور «ليتون»، وهو يرسو أمام الشارع السادس والثمانين. .

ـ ولماذا لم تذهب لعملك هذا المساء؟ لقد وجدك رجالنا في منزلك. . .

ـ كان كل شيء هادئاً فوق ظهر اليخت، وشعرت برغبة ملحة في أن أحتسي بعض الشراب. . . وهكذا عدت إلى المنزل. .

ـ متى غادرت اليخت؟

ـ في الساعة الثامنة. .

ـ ولكنك كنت لا تزال في المنزل عند منتصف الليل؟

ـ لقد كانت ابنتي «إيزابيلا» منقبضة النفس وحيدة. . فقد نصح الطبيب «لإيفلين» ـ على أثر إبلالها من مرض ألم بها ـ أن تذهب

لتبديل الهواء في الريف.. فسافرت هذا المساء في رحلة لمدة أسبوع، ومعها حقيبتاها، إلى شقيقة لها تقيم في «واكسلي»...

- ومن أي مرض كانت تشكو؟

فتصدت «إيزابيلا» للإجابة قائلة:

- لقد كانت متعبة منذ بعض الوقت، وظننت نفسها حُذبلى... ولكن عندما استشارت الطبيب قال إن بها اضطراباً عصبياً..

- ومتى عرضت نفسها على الطبيب؟

- منذ ثلاثة أشهر أو أربعة، فقد كان الثلج يتساقط يوم ذهبت للدكتور «جورج توماس». فشكرها «كولت»، ثم سأل أباها عما فعله ليلة الأمس، فتصدت «إيزابيلا» للإجابة مرة ثانية وقالت إنه كان ثملاً إذ شرب كثيراً ليغرق في شجونه التي ألمت به من سفر والدتها، حتى اضطرت لوضعه في فراشه.. وكانا وحدهما في المنزل..

وأشعل «كولت» غليونه ثم عاد يسأل الرجل:

- هل كانت العلاقة على ما يرام بينك وبين زوجتك يا «سوندرز»؟

- كلا..

وعقد الشاهد ذراعيه فوق صدره، ثم استطرد قائلاً:

- كان لا بد أن يأتي يوم يقع فيه الانفجار.. فإن «بيزلي» كان يريد أن يفرض سلطانه في منزلي، بعد أن أكثرت زوجتي من الشكوى إليه باختلاق الأكاذيب علي.. وقد سمعت أنه نصح لها بأن تهجر هذا الزوج السكير وتأخذ ابنتها.. تأخذ عزيزتي «إيزابيلا» مني! فلم أطق صبراً على ذلك وأمرتها بألا ترى المحترم «بيزلي» قط..

كيف كانت الحالة النفسية لوالدتك عندما فارقتك هذا المساء يا «إيزابيلا»؟

- كانت تبكي.. وكلما قلت لها إننا سوف نلتقي ثانية بعد أيام

معدودات أمعنت في البكاء..

ـ كانت كأنها تودعني الوداع الأخير، وهو ما حدث فعلاً.

ـ وكيف لم تصحبيها إلى المحطة؟

ـ لقد منعتني من ذلك منعاً قاطعاً، محتجة بأنها لا تحتمل هذا الموقف الأليم.. فسرت معها إلى محطة سيارات الأجرة القريبة من منزلنا، وظلت تشير لي بمنديلها من نافذة السيارة حتى اختفت عن أنظاري..

ـ ألم تتحدث والدتك بالتليفون إلى القس «بيزلي» قبل رحيلها؟

ـ لقد تحدثت إلى شخص ما حوالي الساعة السابعة إلا ربعاً، ولكني لا أعرف من هو.. وقد سمعتها تقول «في الساعة الثامنة تماماً» قبل أن تضع السماعة في مكانها..

فتحول «كولت» إلى «ويلي سوندرز» ثانية، وقال:

ـ هل كنت تعلم أن زوجتك كانت تثق بالقس «بيزلي» إلى هذا الحد؟

ـ طبعاً.. وكيف لا تثق به وقد كانت تعمل سكرتيرة له خلال عامين؟

فتدخل «دوجرتي» في لهفة شديدة:

ـ تقول إن زوجتك اشتغلت سكرتيرة له مدة عامين.. متى كان ذلك؟

ـ لقد تركت هذا العمل منذ ثلاث سنوات، لأنها لم تتفق مع مسز «بيزلي» التي تريد أن تسير الأبرشية على هواها..

فقال «كولت»: هل تعلم من سبقها في هذا العمل ومن خلفها فيه؟

ـ لقد خلفتها امرأة تدعى «إيماهيكس».. أما التي كانت قبلها فأظنها تدعى «بيسي ستروير»..

فشكره «كولت»، ثم سأله منذ متى يقيم بـ«نيويورك» فأجاب:

ـ منذ بضعة أعوام فقط، فقد كنت أقيم في «روكفيل» وأعمل نجاراً متخصصاً في بناء القوارب والسفن، ولكني سقطت ذات يوم من عل، وأصبت بكسر في ظهري، فأصبحت لا أستطيع الاستمرار في مهنتي الشاقة، ولا أدري ماذاكانسيحل بي وبـ«إيفلين»، الصغيرة لولا قيض الله لي الكومودور «ليتون» الذي ألحقني بخدمته..

ـ إنني أريد أن أطرح عليك سؤالاً صريحاً، فهل تـظن أن العلاقة بين زوجتك والمحترم «بيزلي» كانت.. كانت مريبة؟..

ـ كلا.. وألف مرة كلا، فإنني واثق من طهارة زوجتي وإخلاصها.. وسبب البلاء كله هو أنها و«بيزلي» كانا يعداني سكيراً لا يرجى صلاحه.. ولما كانا قد ارتبطا بالعمل مدة طويلة فقد كانت العلاقة بينهما وثيقة ولكن لا تشوبها شائبة، وهي علاقة طبيعية لا ترقي الشكوك إليها.

ـ ألا تعرف أعداء لزوجتك أو للمحترم «بيزلي»؟

ـ لم يكن لـ«إيفلين» أعداء.. ومع ذلك فإن أحد الأشخاص الذين كانت تختلط بهم كان يضمر لها بغضاً شديداً.. كما أنه لم يكن يحب «القس» بالمثل..

ـ من الذي تعنيه؟

ـ «بادنجتون كرتنوود»، ذلك الفتى الأبله.. فكثيراً ما كان يفاجيء «إيفلين» وهي تعمل وحدها بمكتب «القس» والسكين في يده.. وهو. سكين من الخشب ليست بذي خطر طبعاً، ولكنه سكين على أي حال..

ـ هل رآه أحد يقترب من زوجتك والسكين في يده.

ـ لست أذكر الآن.. ولكنني سأذكره حتماً في الغد..

ـ حسناً، يمكنك أن تعود الآن إلى منزلك.. وسوف تجد هناك

بعض رجال البوليس يفتشونه.. ولا تنس أن تظل تحت تصرفي في الغد..

فلما انصرف الشاهدان، كانت الساعة قد بلغت السادسة صباحاً، فأحضر لنا خادم «كولت» أقداح القهوة الساخنة، وبعض الطعام.. حتى إذا ما فرغنا من تناوله، قال «كولت» لـ«دوجرتي» باسماً

ـ هل لي أن أعرف رأيك في القضية الآن يا عزيزي «دوجرتي»؟

ـ يبدو لي أنها سهلة الحل إلى حد بعيد، فلدينا الآن بعض الحقائق التي لا يمكن تجاهلها..

وراح وكيل النيابة يعد على أصابعه: (١) كان «ويلي سوندرز» يعلم أن زوجته واقعة تحت تأثير «بيزلي» (٢) وهو رجل سكير يخرجه الشراب عن أطواره (٣) عاد لمنزله ثملاً وترك عمله بلا سبب جدي (٤) وجدت الجثتان في قارب، وهو باعترافه نجار متخصص في بناء السفن. (٥) لا ريب أنه وابنته يعرفان حقيقة العلاقة بين «إيفلين» و«القس»..

ـ إنه عرض جيد للوقائع يا «دوجرتي».. ولكن بعضها مع الأسف يتعارض مع أشياء أخرى لا ينبغي أن نتجاهلها.. فكيف استطاع «ويلي سوندرز» أن يتسلل إلى منزل «سانجستر تراس» ليبني فيه قارباً؟ وأين ذهبت ساعة «القس» وخاتم زواجه؟ ولماذا كذب علينا «جيرالد كرتنوود»؟ هل لتغطية مركز «سوندرز»؟ هذا محال طبعاً... ومن المحتمل أن يكون بريئاً ولكن كذبته هذه غير مفهومة.. وثمة شيء آخر.. فإن هذه الجريمة المزدوجة تبدو وليدة تدبير محكم، ولولا أن أتاحت لي الصدفة المجردة العثور على ورقة من شجرة لمكثنا طويلاً نتخبط في الظلام.. وهكذا ترى أنني لا أستطيع الأخذ بنظريتك، دون أن يكون في ذلك ما يتعارض مع احتمال صحتها..

وبعد لحظة كان بين أيدينا تقرير الطبيب الشرعي، بما يفيد أن

الضحيتين قتلا برصاصتين من عيار ٢٢.. وقد حاول القاتل فصل رأس مسز «سوندرز»، بعد وفاتها.. كما أنها لم تكن حاملاً

وظل «دوجرتي» صامتاً برهة ثم سأل رئيسي عما ينوي عمله الآن، فأجابه:

ـ ينبغي قبل كل شيء أن نجد «بيسي ستروبر»، السكرتيرة التي سبقت مسز «سوندرز» في خدمة «القس»..

ـ أتعتقد أننا أمام جريمة باعثها الانتقام من سكرتيرة مفصولة

ـ كلا.. لست أعني هذا البتة.. ولكنني أريد أن أعرف ما تعلمه عن «بيزلي».. ولذلك سأسمع أيضاً أقوال السكرتيرة الحالية «إيما هيكس»..

وقطع علينا الحديث دخول أحد المخبرين يرتدي ثياب العمال الذين يغسلون نوافذ المكاتب والمتاجر، فألقى عليه «كولت» بعض الأوامر وصرفه ثم تحول إلي قائلاً:

ـ سوف يغسل «فلنت» اليوم نوافذ مكتب «جيرالد كرتنوود»، وسيخبرنا بكل ما يحدث هناك.. كما أنه سيصل أسلاك التليفون بآلة خاصة معه ليسترق السمع كلما استعمل «جيرالد» تليفونه، فإن لهذا الرجل في نظري أهمية عظمى..

واتفق «دوجرتي» و«تاتشر كولت» على اللقاء في إدارة الشرطة عند الظهر.. وسبقني الرئيس إلى هناك على حين مضيت لقضاء بعض لوازمي الخاصة، حتى إذا ما وافيته بعد ربع ساعة، استقبلني قائلاً: لقد وجدت أشياء كثيرة في قضية «بيزلي وسوندرز» يا «توني»، فأعد مذكرتك وتأهب لكتابة ملخص التقارير التي تلقيتها الآن: لقد أسفر التحري عند بائعي الخشب عن نتيجة إيجابية، فقد اشترى الخشب الذي بنى به القارب من محل «جارسون وهيس»، في أوائل إبريل، وسلم بناء على أمر المشتري إلى رقم ١٣ «سانجستر تراس» حيث

أدخل من نافذة كبيرة بالطابق الأرضي.. وقد وصف عامل المحل الذي قام بتسليم الخشب للمشتري بأنه «سيد قصير القامة»، بدين الجسم، شاحب الوجه يبدو في سيماه الحياء والخوف»

فتبادلت و«كولت» نظرة صامتة، دون أن يجرؤ أحدنا على النطق بذلك الشك العجيب الذي قام في نفسينا، وأخيراً استطرد «كولت» يملي علي:

ـ وقد تبين أن «جوزيف توسيل» وصديقته الصغيرة لا علاقة لهما بالحادث على أية صورة.. كما أن خبير الخطوط قد أثبت أن الخطاب الذي وجدناه بجيب «بيزلي» قد كتب بخط «القس» نفسه.. أما البرقية المرسلة إلى «كراوس»، الحارس الليلي لـ«سانجستر تراس»، فظهر من التحريات أنها أرسلت من مكتب البريد «بيروكلين»، كما يذكر الموظف المختص أن مرسلها سيد قصير القامة يبدو عليه القلق والخجل..

ـ يا إلهي إن هذا الوصف يطابق الرجل الذي اشترى الخشب؟

ـ تماماً.. الحق معك.. وقد وصل «فيجلي» إلى نتيجة طيبة في سؤاله للملاحظ، إذ حدثه عن اجتماع عقد في الكنيسة بمكتب «القس»، وحضره المحترم «بيزلي» وزوجته، و«جيرالد» و«بادي كرتنوود» وشخص آخر يدعى «أليري شادويك»، وهو مدير أملاك الأبرشية.. ويبدو أنه و«جيرالد» الحاكمان بأمرهما في شئون الأبرشية جميعاً، وكان المقصود من هذا الاجتماع إملاء إرادتهما على «القس».. وقد اعترف الرجل أن شيطان الفضول قد أغراه باستراق السمع، فتبين أن «شادويك» قد بلغته أمور عن علاقة «بيزلي» بـ«إيفلين سوندرز»، وأنهما يخلوان ببعضهما كثيراً، فاستأجر بعض المخبرين الخصوصيين لاقتفاء أثرهما.. ومن العجيب أن هؤلاء المخبرين مع تأييدهم لوجود هذه العلاقة بين «القس» وسكرتيرته السابقة، فإنهم لم يذكروا شيئاً عن

«سانجستر تراس»، على حين كان هـذا المنزل عش الغـرام الذي يجتمعان فيه منذ عامين. . وقد قاوم «بيزلي» متهميه مقاومة عنيفة، واعترف بأنه يصحب مسز «سوندرز» أحياناً في نزهة بالسيارة حقاً، ولكنه نفى نفياً باتاً وجود علاقة مريبة بينهما. . وأخيراً وعد بالامتناع عن رؤيتها. . ويعترف الملاحظ بأنه سمع «ويلي سوندرز» يقول عن «القس» «سوف يعض أصابعه ندماً على معرفتي ومعرفة زوجتي» وأيد اعترافه بعض من كان حاضراً لهذا الوعيد. .

ـ إذن فلم تكذب مسز «بيزلي» في هذا القول؟

ـ كلا. . ولا «ويلي سوندرز» أيضاً عندما حدثنا عن ميل «بادنجتون كرتنوود» إلى اقتناء المدى والسكاكين. . ولكن ذلـك لا يفيدنا في شيء، إذ أن «بادنجتون» ليس نجاراً ومن المحال أن يصنع قارباً بمفرده. . وفي الوقت نفسه ذكر طبيبه الذي يرعاه منذ طفولته أنه مصاب بنوع من الجنون الخفيف، يميل به نحو حب البتر والتقطيع، ولو أنه تعلم الطب لغدا من أعلام الجراحين.

وقبل أن أعلق على هذا القول بكلمة، دوى جرس التليفون، وظل «كولت» يصغي برهة ثم وضع السماعـة وقال: إن «فيجلي» و«لنجل» من الأبطال. . فقد تحقق الأول أن مسز «سوندرز» هي التي اتصلت ب«القس» تليفونياً في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء الأمس. . ولكن هذا لا يكاد يذكر بجانب ما ذكره هـو لي نفسه من أن شخصـاً ما قـد اتصل من تليفـون رقم ١٣ «سانجستر تراس» في الساعة التاسعة وبضع دقـائق من ليلة أمس بـ«جيرالد كرتنوود» وقد نسي مستر «كرتنوود» المبجل أن ينبئنا بذلك ولكني سأضطر إلى إنعاش ذاكرته. . هذا وقد علم «فيجلي» من امرأة تدير مشرباً للشـاي بالقـرب من «سانجسـتر تراس»، أن «بيـزلي» و«إيفلين سوندرز» كانا يترددان كثيراً على مشربها، وقد سمعتهما ذات

يوم يتحدثان عن مخبأ في الكنيسة نفسها يتخذانه صندوقاً للخطابات. .

واستغرق «كولت» في التفكير برهة ثم عاد يملي علي:

ـ وقد أثمرت تحرياتنا عن علاقة «القس» بتلك المرأة، فعلمنا أن بعض أفراد الأبرشية كانوا يرتابون في وجود هذه الصلة. . ولكن الفضيحة لم يتسع نطاقها إلى حد ذيوعها بين الجميع. . ومهما يكن من أمر فقد تحقق لدينا الآن أن آل «كرتنوود» قد كذبوا صراحاً عندما زعموا أن هذه الصلة لم توجد قط. .

ـ وهل كان «ويلي سوندرز» على علم بها؟

هذا ما لم أتحققه بعد. . وأخيراً فلدينا قصة. . صغيرة عن أشباح قيل إنها كانت في العهد الأخير تظهر في كنيسة القديس «ميشيل» بين آن وآخر، وكان ذلك موضع حديث الجميع في وقت من الأوقات. .

وبعد أن فرغ «كولت» من إملاء تقريره، استطرد قائلاً:

ـ أما الآن فعلينا أن نستمع إلى سكرتيرتي «بيزلي»، وهما تجلسان في هذه اللحظة عند الكابتن «هنري». . وإني أعلق على شهادتهما أهمية بالغة، إذ أستطيع أن أعرف شيئاً عن حياة المحترم «بيزلي» الخاصة وميوله المختلفة. . وسنرى الآن مس «بيسي ستروبر»، سكرتيرته الأولى، ولكن عليك أن تتحقق أولاً من أنهم قد استبدلوا أكرة الباب كالمعتاد. .

وبعد قليل كانت «بيسي ستروبر» تجلس أمامنا. . وهي فتاة ضئيلة الجسم بسيطة المظهر، سلبتها الطبيعة كل مظاهر الأنوثة والجمال، ترتدي ثياباً متواضعة ولا تتحلى بشيء سوى قرط يبدو أنها ورثته عن جدتها. . غير أنه استرعي نظري فيها ما يبدو في عينيها من كآبة وألم مكبوت. .

وتتلخص شهادتها في أنها تقيم مع أهلها، وهم من التجار ذوي

اليسار، وأنها عندما أتمت دراستها راحت تتلقى دروساً في الاختزال والسكرتارية، حتى نالت شهادتها، وعندئذ عرض عليها المحترم «بيزلي»، وكان يعرفها من ترددها على الكنيسة، أن تشتغل سكرتيرة له، وظلت في هذه الوظيفة نحو ثلاث سنوات حتى أدركها الكلال وأشار عليها الطبيب براحة طويلة.. فلما عادت إلى «نيويورك» وجدت «القس» قد شغل وظيفتها بمسز «سوندرز»..

فلما سألها «كولت» عما إذا كانت تعتقد أن «بيزلي» كان على علاقة حب مع مسز «سوندرز» أجابت وقد تورد وجهها حياء:

- إنني أعرف أن ذلك قد أشيع في وقت ما، ولكنني وقد عرفت المحترم «بيزلي» حق المعرفة، أعلم أنه رجل طموح ما كان ليرضى بأن يحطم مستقبله من امرأة..

ولم تقدمنا أقوال «بيسي ستروبر» خطوة إلى الأمام... وكانت تجيب على أسئلة «كولت» في صراحة ووضوح، ولكنها لم تكن بذات أهمية..

- وخلفتها في المقعد مس «إيماهيكس»، وهي عانس متقدمة في السن ثرثارة ما كادت تدخل الحجرة حتى اندفعت تقول:

إنني أعلم أنك دعوتني لتسألني عن العلاقة بين المحترم «بيزلي» المسكين، وتلك الأفعى «إيفلين سوندرز».. وفي رأيي أن المسئولية كلها تقع في مثل هذه الأمور على عاتق المرأة، أما الرجل فضعيف لا يستطيع أن يقاوم الإغراء طويلاً..

- إذن فأنت لا تلومين المحترم «بيزلي» على مسلكه؟

- أبداً.. فقد ظل هذا الرجل طوال حياته ضحية للنساء.. ولماذا؟ لأنه طيب القلب لا يستطيع الدفاع عن نفسه.. فزوجته تضايقه من مطلع الشمس إلى مغربها، وتريد أن تضعه تحت الوصاية دواماً، بل لا تتورع عن تأنيبه جهاراً.. وأما «إيفلين سوندرز» فامرأة

خليعة متبذلة، لا أعدو الواقع إن قلت إنها خطرة على كيان الأسر السعيدة، وإني لأعجب كيف استطاع المحترم «بيزلي» أن يقاوم طويلاً قبل أن يقع في شراكها.. أقول ذلك لأنه يكفي أن تقترب أية امرأة من «القس» لتعلم إلى أي حد كان متقد العاطفة ملتهب الحواس..

ـ هل تعتقدين أنه كان سعيداً في بيته؟

ـ إنه لم يكن يزيد أو ينقص عن معظم الأزواج.. ولكنه و«إليزابيث كرتنوود» لم يكونا زوجين مثاليين.. فهي باردة العاطفة، متحفظة، متباعدة نفور، لا مطمع لها إلاّ أن تغدو زوجة مطران، وهو مطمع كان يشاركها فيه زوجها نفسه، مما يجعل الإشاعة التي ذاعت في الأبرشية بعيدة عن التصديق..

ـ أية إشاعة يا مس «هيكس»؟

ـ لا ريب أنك تعرفها، فقد قيل إن «بيزلي» و«إيفلين سوندرز» يزمعان الفرار معاً..

ـ وما رأيك في هذه الإشاعة؟

ـ لا رأي لي فيها.. ولكن هناك حقيقة ملموسة، هي أن المحترم «بيزلي» كان يجمع في الآونة الأخيرة نشرات السياحة والأسفار، لا في أوروبا، ولكن في بلاد الشرق النائية كـالصين والهند وسيام».. وقد فاجأته ذات يوم فكنت أراه يقلب أوراق النتيجة ويعد الأيام على أصابعه.. وفي مرة ثانية سمعته يتصل تليفونياً بإحدى شركات السياحة ويسأل عن ثمن التذكرة..

ـ ألم تسمعيه يحدد تاريخاً؟

ـ بلى.. منتصف يونيه.. ولكنه لم يذكر أمامي اسم البلد الذي ينوي الذهاب إليه..

ـ ومتى كان هذا الاتصال التليفوني؟

ـ منذ زهاء شهر.. ومن العجيب أنني لم أسمعه قط يتحدث

إلى امرأته عن هذه الرحلة، بل إنه كان يعد معداتها في خفاء شديد.

ـ أكان يطلب تذكرة أم اثنتين؟

ـ لقد سمعته يطلب تذكرة واحدة. .

ـ هل تعرفين شيئاً عن «أليري شادويك»؟

ـ ما الذي تريد معرفته عنه؟ الخراب الذي مني به في البورصة أخيراً؟ أم حبه لمسز «بيزلي»؟ فلم تتحرك عضلة واحدة في وجه «كولت» بل قال: حدثيني بكل ما تعرفينه عنه.

ـ لقد كانت «إليزابيث كرتنوود» قبل أن تتزوج من «بيزلي» موضع حب رجلين هما الكولونيل «باول» المحامي المعروف، ثم مستر «شادويك». . وكان بعض ذوي الألسنة الحادة يقولون إن «شادويك» كان يسعى لثروتها، وإنه حتى بعد زواجها، كان لا يفتأ يحاول أن يثبت لمسز «بيزلي» تهتك زوجها وغرامياته حتى إذا ما طلبت الطلاق منه، غدا «شادويك» في الصف الأول من طلاب يدها. . مع أن مسز «بيزلي» لم تحب أحداً غير الكولونيل «باول»، ولا تزال توليه الكثير من عطفها. .

ـ ولماذا فسخت خطوبتها له؟

ـ لأنه ملحد لا يعتقد في وجود الله ولا الشيطان، في حين أنها شديدة التدين. .

وذكرت الشاهدة قبل أن تنصرف أن «القس» كان في بعض الأوقات يخلع ثوبه الكهنوتي، ويخرج خفية في ثياب عادية. . وكان في الآونة الأخيرة يبدو مهموماً، كما كان هناك من يقتفي أثره من صنائع «شادويك» و«جيرالد كرتنوود». . وقد أخبرت «القس» بذلك.

فنظر «كولت» إليّ بعد خروجها نظرة ذات مغزى، وقال:

ـ الآن عرفنا لماذا لم يكتشف المخبرون منزل «سانجستر تراس». .

ولم يتم عبارته إذ اقتحم الغرفة الشرطي الذي كان يترصد حركات «جيرالد كرتنوود»، وذكر أن الأخير قد أرسل برقية إلى الكولونيل «باول» على ظهر باخرته يطلب مقابلته بمجرد نزوله إلى الميناء وأنه بعد ذلك اتصل تليفونياً بابنه الصغير وقال له:

ـ هل أتممت المهمة يا صغيري؟ حسناً.. والآن أصغ إلي، عليك أن تأخذ اللفافة تحت ذراعك وتذهب إلى محطة «جراند سنترال» حيث تستقل القطار إلى «نيوروشيل»، وهناك تمضي إلى شخص يدعى «ريتسكي»، صاحب مصبغة وحانوت للغسيل بجوار المدرسة الثانوية، وتعرفه بنفسك وتقول له إن هذا الشيء يجب أن ينظف مما به للتو على أن يبقيه لديه حتى أبعث من يحضره من عنده..

وسرعان ما أمر «كولت» طائرة البوليس بأن تخف إلى «نيوروشيل»، قبل وصول قطار «نيويورك» وأن يقوم الكابتن «هولاندر» بضبط هذه اللفافة وإحضارها مع «كرتنوود» الصغير إلى «كولت»

فلما حضر «دوجرتي» وتلوت عليه مذكراتي كاد يطير فرحاً بالنتائج التي وصلنا إليها، وكان من رأيه أن نقبض على «جيرالد كرتنوود» في الحال، وقبل أن يرد عليه «كولت» قرع جرس التليفون فتناوله الرئيس وراح يصغي قليلاً ثم قال: سوف أحضر حالاً..

فلما وضع السماعة مكانها، تحول إلينا وعيناه تتألقان اهتماماً وهو يقول:

ـ لقد كلمني أحد رجالنا من منزل «القس»، فقد عثر على ساعة القتيل وخاتم زفافه في درج المكتب الخاص بمسز «بيزلي»...

- ٦ -

ودرجت السيارة بثلاثتنا حثيثاً صوب بيت «القس»، وكان «كولت» صامتاً، فحذوت حذوه.. ولكن «دوجرتي» لم يطق صبراً، فقال:

- إن إخفاء مسز «بيزلي» للساعة والخاتم في درج مكتبها لأمر ذو مغزى يا عزيزي «كولت»، ولا تنس أنها حاولت أن توجه شكوكنا نحو «ويلي سوندرز»، وأن «جيرالد كرتنوود» ذكر لنا دليل نفي كاذب، وأن «بادنجتون» ذو ميل إلى البتر والتقطيع، وأخيراً أن «جيرالد» أرسل قطعة ما من الثياب لتنظف حالاً..

فخرج «كولت» عن صمته ليقول له: لقد نسيت أن تذكر «إيزابيلا سوندرز» وأباها والهرة!

- اسخر ما شئت، ولكني قد كونت رأيي.. فإن مسز «بيزلي» غارقة في الجريمة إلى أذنيها.

فلما بلغنا المنزل كان المفتش «لنجل» في انتظارنا عند الباب، فقال لرئيسي إن «جيرالد كرتنوود» حضر منذ برهة ومعه الكولونيل «باول» المحامي الذي أراد طرد رجال البوليس بحجة أنهم لا يحملون أمراً قانونياً بالتفتيش، واكتفى أخيراً بأن يمنعهم من الاستمرار في تفتيش المكان..

- وأين مسز «بيزلي» الآن؟

- في فراشها.. فقد إدعت المرض لتغلق بابها في وجهنا.

- وأين الساعة والخاتم؟

- إنهما معي، وقد حاول «باول» أن يستعيدهما ولكن عبثاً أراد.. ها هما..

وكانت الحليتان ملفوفتين بعناية في منديلين من الحرير، فراح «كولت» يفحصهما بينما استطرد «لنجل»: وقد استحال على الاقتراب

من مسز «بيزلي» فلم أعرف تعليلها لوجودهما في مكتبها..

ووجلنا المنزل، فإذا بالكولونيل «باول»، وهو كهل عريض المنكبين أنيق الهندام، ينتظرنا في قاعة الاستقبال.. فتقدم نحو الرئيس يحييه في حرارة، وما لبث أن قال:

ـ إنني يا عزيزي «كولت» نهب بين سروري للقائك، وأسفي لأن يكون هذا اللقاء في ظروف أليمة كهذه.. فما كدت أغادر الباخرة حتى وجدت خير أصدقائي فريسة بين يديك.. فما الذي أصاب ذكاءك وحصافتك يا «كولت»؟ إنني أول من يعترف ببشاعة هذه الجريمة المزدوجة، ولكني كذلك أول من يحتج على إرهاقك أرملة محترمة مسكينة، لم تفق بعد من صدمة الكارثة المروعة التي نزلت بها، وملء بيتها بالجواسيس والمخبرين.. كيف حالك يا مستر «دوجرتي»؟ ألا تزال وكيلاً للنيابة؟.. ولكن لا ريب أنك من الإلمام بقانون تحقيق الجنايات بحيث تدرك أنّ الإجراءات التي اتبعت حتى الآن باطلة كلها.. وقد أوقفتها جميعاً لمخالفتها للقانون..

فقال «كولت» في هدوء:

ـ هل أفهم من ذلك أن مسز «بيزلي» قد رأت أن تضع مصالحها بين يدي محام؟

ـ لقد فرضت ذلك عليها فرضاً، بعد أن رأيت تحاملكم عليها أيها السادة، وإلى أن تستعيد هذه السيدة النبيلة قواها، فلن يتم تحقيق أو تفتيش، ولكنها عندئذ سوف ترى من واجبها أن تجيب على أسئلتكم وتضع بين أياديكم مفاتيح بيتها..

فاندفع «دوجرتي» قائلاً:

ـ إذا كان «موكلوك» أبرياء فماذا يخشون من هذا التفتيش؟ لقد كذب «جيرالد كرتنوود» عندما قال إنه كان يستمع إلى الراديو، على حين أننا نعلم...

فقاطعه المحامي مبتسماً:

ـ إن مستر «كرتنوود» رجل أعمال يا «دوجرتي».. ومثل هؤلاء تجدهم دائماً شاردي الذهن. وأنا أقول لك إنه لم يستمع للراديو، ولكنه بينما كان يطالع صحيفته كانت زوجته تعزف على البيانو قطعة موسيقية راقصة،فخيل إليه أن الصوت ينبعث من الراديو. وهذا كل ما في الأمر، وأنا لا أراه يثير شكاً أو ريبة..

فقال «كولت»: بديع جداً يا عزيزي «باول»! إنه تعليل بارع كل البراعة!

ـ وهكذا بقية شكوككم يا «كولت».. فقد غاليتم كثيراً في شأن وجود الساعة والخاتم بمكتب مسز «بيزلي».. فإن هذه الساعة جديدة كانت تنوي مسز «بيزلي» أن تقدمها لزوجها المنكود في الأسبوع التالي هدية في عيد ميلاده.. وهو لم يضعها في يده قط، فإذا كانت ساعته الأصلية قد فقدت، فإنها ساعة أخرى تختلف عن هذه كل الاختلاف.. أما الخاتم فأمره أهون شأناً، إذ كان «بيزلي» قد خلعه من إصبعه في الحمام وهو يحلق ذقنه فوجدته مسز «بيزلي» وأخذته إلى حجرتها لتعيده إليه عند رجوعه.

ـ وهل تعلم أن مستر «جيرالد كرتنوود» قد تلقى ليلة الأمس محادثة تليفونية من المنزل رقم ١٣ «سانجستر تراس»؟

ـ هذه أول مرة أسمع فيها ذلك..

ولم يطق «دوجرتي» صبراً على سخرية المحامي فغادرنا منفعلاً في طريقه إلى مكتبه، واعداً أن يبعث إلى «كولت» بأمر التفتيش بمجرد الحصول عليه من قاضي التحقيق.. فلما انصرف قال «كولت» للكولونيل «باول»: هناك نقطة واحدة أود أن أسمع تعليلك لها.. فقد أجمع أهل القتيل على إنكار وجود أية علاقة مريبة بينه وبين مسز «سوندرز» في حين أننا نعلم بوجود هذه العلاقة منذ زمن طويل..

فكيف يبرر كذبهم هذا؟

فأحنى «باول» رأسه وهو يقول في اكتئاب:

ـ الواقع أن هذه نقطة جدية يا «كولت».. وأقول لك فيما بيننا إن هذه العلاقة كانت قائمة حقاً، وإنني وإخوة مسز «بيزلي» كنا على علم بها.. ولكن مسز «بيزلي» كانت تجهلها.، وبذل إخوتها جهد المستميت في إخفائها عنها.. ومن ذلك ترى أنهم لن يعترفوا بها قط مهما سقت إليهم من أدلة وبراهين..

فتنهد «كولت»، وغمغم:

ـ لقد عرفت مسز «بيزلي» كيف تختار محاميها.. والآن هل تسمح لي يا عزيزي «باول» بأن أفتش الكنيسة ومكتب «بيزلي» الخاص فيها؟

ـ إنهما تحت مطلق تصرفك، افعل بهما ما تشاء..

فمضيت و«كولت» إلى ممر مكشوف يصل ما بين المنزل والكنيسة، ما كدنا نعبره حتى وجدنا باباً يؤدي إلى حجرة صغيرة مربعة ذات نافذة واحدة تطل على حديقة صغيرة مهجورة، وبها أثاث بسيط يحيط بمكتب صغير عتيق الطراز كان «القس» يستعمله.. فراح «كولت» يفحص كل شيء في الحجرة، بعد أن ألقى نظرة على الأوراق التي قام «لنجل» بفحصها في الصباح وأخرج منها كل ما رأى أنه قد يفيد التحقيق..

واسترعت نظر «كولت» بعض الصور الصغيرة التي تمثل «القس» و«إيفلين سوندرز»، وأخرى كبيرة كانت تزين الجدران وتمثل صور القديسين وبعض المشاهد التاريخية الدينية.. بيد أنه كانت بينها صورة تمثل جماعة من الناس في رحلة خلوية في الريف، ذات يوم من أيام الخريف بلا ريب إذ كانت السيدات يرتدين معاطفهن وقفازاتهن.. وكان يبدو من طراز الثياب التي يرتدينها أن الصورة قد

التقطت منذ خمس سنوات أو ست.. وكان «بيزلي» وزوجته، وهي ترتدي معطفاً انيقاً طويلاً ذا ياقة وأكمام من الفراء، يقفان في الوسط، وحولهما فتيات وفتيان من أبناء الطائفة.. ومن عجب أن «كولت» كان يوجه اهتماماً غريباً إلى صورة إحدى الفتيات اللواتي يمثلهن المنظر، وما لبث أن أشار بأصبعه إليها قائلاً:

ـ تأملها جيداً يا «توني».. ألا تراها جميلة ساحرة؟ لعمري أنه تبدل عجيب!

فلما أبديت دهشتي وعدم فهمي لما يقول، غمغم في ابتسامة عريضة: ألا تعرفها؟

فرحت أتأمل مرة ثانية ذلك الوجه الجميل الذي يشير إليه «كولت»، فلم أعرف صاحبته، وإن كان قد خالجني شعور خفي بأنني رأيت هذه الملامح من قبل..

ـ يا عزيزي «توني».. إنك لن تغدو يوماً قوي الملاحظة.. ألا تذكر هذا القرط؟

وتركني الرئيس في ذهولي، ثم فتح الباب الذي ولجناه منذ قليل، ودعا المفتش «لنجل» قائلاً:

ـ إن لدي مهمة عاجلة بالغة الأهمية أود أن أكلف بها أحد رجالك.

ثم راح يصدر أوامر للمفتش في صوت خفيض لم أسمع منه شيئاً.. حتى إذا ما فرغ من حديثه، عاد ليفتح الباب الثاني للحجرة، فإذا بنا نجد نفسينا في كنيسة القديس «ميشيل»..

كانت الكنيسة صغيرة مستطيلة الشكل وقد ارتفع مقعد الكاهن في أحد جوانبها، على حين امتلأ سائرها بالمقاعد الممتدة في صفوف متوالية بعرض القاعة مع ممر ضيق بينها يؤدي إلى باب الخروج..

وبينما كنت و«كولت» نجيل أنظارنا بين أنحائها، فتح ذلك

الباب بغتة وبدت منه مس «إيما هيكس» - سكرتيرة «القس» الأخيرة - وفي صحبتها رجل قصير القامة مترهل الجسم تبدو في سيماه الصرامة.. فقالت: لقد أخذت على عاتقي أن أحضر مستر «شادويك» لمقابلتك يا مستر «كولت»..

وما كاد الرجل يحيي الرئيس حتى اندفع في محاضرة طويلة دفاعاً عن الكنيسة وسمعتها، ثم دفاعاً عن مسز «بيزلي» وأخويها، فتركه «كولت» يتكلم وأخيراً قال له بعد أن نفذ صبره:

- إنني يا مستر «شادويك» بسبيل اكتشاف قاتل المحترم «بيزلي» والمسز «سوندرز»، فهل لديك معلومات تلقي ضوءاً على هذه الجريمة؟

- كلا..

- أكنت تعرف «بيزلي» جيداً؟

- منذ سنوات عديدة، فقد كان مرشدي الروحي وصديقي..

- ألم يسر إليك يوماً أنه يخشى انتقام عدو له؟

- كلا..

هل كنت على علم بعلاقته بمسز «سوندرز»؟

فانفجر غضب «شادويك»، وقال: إن المكان أولاً لا يليق فيه مثل هذا الحديث، ثم..

فقاطعه «كولت» في صوت كحد الحسام:

- لا فائدة لك من أن تركب رأسك يا مستر «شادويك»، فإننا نعرف كل شيء عن هذه العلاقة وعن الاجتماع الذي عقد في مكتب «القس»، بتحريض منك..

فطأطأ الرجل رأسه، ووطيء من كبريائه، ثم قال:

- إن ما سمعته صحيح يا مستر «كولت»، فإنني عندما علمت بانحراف قسيسنا وراعينا عن الطريق القويم، أردت محافظة على سمعة الطائفة أن...

ـ حسناً.. إنني أعرف الباقي.. فهل لك الآن أن تخبرني هل سمعت عن الأشباح التي كانت تظهر في الكنيسة؟

ـ أشباح؟.. إنها قصة خرافية يا سيدي..

ـ ألم يبلغ سمعك أن بعض الفتيات كن يستعدن أدوارهن في تمثيلية دينية بمسرح الكنيسة بالطابق الأسفل، فرأين شبحاً في الكنيسة؟..

ـ هل تعني هذه السخافة التي أذاعتها فتيات طائشات؟.. لعمري لقد نسيتها..

ـ من المحزن أن ذاكرتك ضعيفة يا مستر «شادويك»، ولكني أرجو ألا تنسى شيئاً بعد ذلك، هلا قصصت علي أمر هذا الشبح بالتفصيل؟..

فتدخلت «إيما هيكس» ضارعة:

ـ دعني أتولى عنه هذه المهمة يا مستر «كولت»، فقد كان منشأ هذه الخرافة فتاتين خرقاوين، زعمتا أنهما صعدتا إلى الكنيسة ذات مساء لتبحثا عن كتاب خاص بإحداهما، فما كادت الأولى تفتح الباب حتى صاحت فزعاً، وزعمت أنها رأت شبحاً أبيض يمثل امرأة شابة، يقف وراء مقعد «القس».. وفي مرة ثانية زعمت عجوز من الجيران أنها رأت الشبح نفسه يجتاز الحديقة ويلج الكنيسة وهي مغلقة ليلاً..

فصاح «شادويك»: هذا محض اختلاق..

ـ إنني يا مستر «شادويك» أعلق أهمية قصوى على هذا الأمر، فإننا نعلم أن القس «بيزلي» و«إيفلين سوندرز» كانا يتخذان مخبأ خاصاً في الكنيسة لاستخدامه كصندوق للخطابات التي يتبادلانها...

فجعل الرجل يصيح غيظاً: إنه هراء الصحف يا سيدي.. فما سمعت قط بشيء كهذا..

وراح يذرع الكنيسة ذهاباً وجيئة في انفعال، وما لبث أن وقف

أمام «كولت» فجأة وهو يقول في صوت متهدج: وبعد؟ هب أن ذلك صحيح، فلماذا تثيرون هذه الفضيحة حول كنيستنا؟ وهل يتحمل القطيع كله تبعة أخطاء راعيه؟..

- إنني أقدر شعورك يا مستر «شادويك».. ولكني أؤدي واجبي.. والآن هل لكما أن تنتظراني في المكتب قليلاً؟..

وما أن خرجا حتى غمغم «كولت»: إن هذا الشبح لم يكن سوى «إيفلين سوندرز» يا «توني»، وقد رؤيت خلف مقعد «القس»، فلا بد أن يكون صندوق الخطابات في ذلك الموضع..

وأشعل مصباحه الكهربائي وراح يبحث في كل مكان بحثاً مضنياً استغرق وقتاً طويلاً، حتى سمعته أخيراً يهتف: تعال يا «توني».. لقد وجدت صندوق الخطابات!

وكان المخبأ السري عبارة عن مربع صغير من الخشب خلف صف من الكتب الدينية في فجوة بالجدار وراء مقعد «القس».. وكانت ترى فيه في الظلام بقعة بيضاء مربعة، من الواضح أنها كانت خطاباً لم يصل بعد إلى يد صاحبه، فأخرج «كولت» قلمين من جيبه واستعملها كملقط أخرج به الخطاب حتى لا يمس بصمات الأصابع الكثيرة المنتشرة على الكتب وعلى الخطاب نفسه..

وكان الغلاف بخط مسز «سوندرز»، ومعنوناً إلى: «المحترم «تيموتي بيزلي»» فاقترب «كولت» من النافذة وراح يفحصه ملياً، وأخيراً قال: لقد فتح هذا الخطاب ولصق ثانية يا «توني»...

ولم يلبث أن مزق الغلاف من أحد جوانبه، فإذا بنا نقرأ آخر ما سطرته المرأة المسكينة:

«.. نعم يا عزيزي، سوف أحضر في الساعة الثامنة كما طلبت إلي وكما أجبتك في التليفون.. ولكني أكتب إليك لأسألك لآخر مرة: ألسنا في صدد ارتكاب حماقة عظمى بهذا الفرار، مع علمك بأن هناك

من يتبعنا ويقتفي أثرنا؟ إنني أكاد أجن فرحاً لهذا الذي قررته أنت أخيراً، ومع ذلك فإنني أرتعد فرقاً، لا من أجلي، ولكن من أجلك أنت، لأنه إذا اكتشف أعداؤ نا عشنا الصغير الجميل فقد ضعنا وضاع معنا حلمنا الذي أعددناه بالفرار معاً. وعندما وعدتني باللقاء في منزلنا بدلاً من المحطة خفق قلبي فرحاً وفزعاً في آن واحد. . ولست أدري سبباً لهذا الانقباض الذي اعتراني بغتة، ولا لموجة التشاؤم التي اكتسحتني، وأنا أعلم مدى بغضهم لي وحنقهم علي، حتى لقد خشيت أن يكون خطابك الأخير غير صادر منك بل هو شرك ينصبونه لي وهذا هو السبب في اتصالي بك تليفونياً. .»

وكان الخطاب يفيض بعد ذلك بعاطفة متدفقة تنم عن مدى الحب الذي تكنه المرأة للقس، واستعدادها للتضحية بنفسها في سبيله.

وأخيراً طواه «كولت» ووضعه في جيبه، ثم قال:

ـ هل لك أن تدعو «ويليامز» ليلتقط هذه البصمات يا «توني»؟ إنني أشعر بأنها ذات أثر حاسم في القضية. . .

ثم عاد ينقب في أنحاء القاعة على غير هدى ـ كما خيل لي ـ بينما كان الواقع أن هناك فكرة معينة غير محدودة كانت قد نشأت لديه وقتئذ كما علمت فيما بعد. . ولم يكتف ببحثه في الكنيسة وإنما مضى إلى حجرة الدروس أسفلها حتى وجد أخيراً ما كان يبحث عنه، وهو زجاجة صغيرة من الصمغ، وضعها في جيبه في حرص وهو يتنهد ارتياحاً.

فلما عدنا إلى الكنيسة كان خبير البصمات يجمع أدواته، فقال لـ«كولت» إنه وجد سبع بصمات مختلفة سوف يقارنها بالمجموعة التي التقطها منذ بدء التحقيق ويقدم تقريره عنها بأسرع ما يستطيع

وبينما كان «ويليامز» يجتاز الباب ارتطم بالضابط الطيار «هولاندر»، الذي كان يتأبط لفافة متوسطة الحجم ويمسك في يده

بغلام لا يعدو الرابعة عشرة من العمر

وأسرع «كولت» يفض اللفافة بيد ثابتة، وأخيراً أخرج منها قطعة من الثياب بنية اللون ذات ياقة واكمام من الفراء، عرفت فيها للتو ذلك المعطف الذي كانت ترتديه مسز «بيزلي» عندما التقطت لها صورة الرحلة منذ خمس سنوات.

وكان الجزء الأسفل كله ملوثاً ببقع حمراء داكنة لا شك في نوعها. كان معطف مسز «بيزلي» ملوثاً بالدماء...

وفي عناية وبطء شديدين راح «كولت» يطوي المعطف ثانية، ويضعه في صندوقه دون أن تختلج في وجهه جارحة، حتى إذا ما فرغ من ذلك تحول نحو الغلام، وكان يقف ممسكاً بقلنسوته بين يديه، فسأله عن اسمه، فأجابه والدموع تترقرق في عينيه أنه «جيرالد كرتنوود» الصغير، وأنه في الخامسة عشرة من عمره.. ولكنه نفى معرفته لصاحبة المعطف، بل أبى أن يضيف حرفاً بعد ذلك إلاّ في حضور أبيه..

فابتسم «كولت» وهو يعجب لعناد هذه الأسرة وصلابة عزمها، وقال:

ـ حسنٌ يا «جيرالد»، لن أسألك عن شيء، فعد إلى المنزل وقص هذه المهزلة الصغيرة على صديقك العجوز الكولونيل «باول»، ولا تنس أن تخبره أنني قد فحصت المعطف جيداً وأنه بين يدي الآن.

فلما خرج الغلام، أعطى «كولت» اللفافة إلى «لنجل» وكلفه بأن يذهب إلى محل «لورد وتيور» الذي يحمل المعطف علامته، ويرجع إلى دفاترهم القديمة حتى إذا ثبت منها أنه يخص مسز «بيزلي»، أخذه إلى المعمل الكيماوي لتحليل البقع ومعرفة كنهها ولو أنه ما من أحد منا كان كان يرتاب في أنها دماء بشرية..

وما كاد «لنجل» ينصرف بحمله الثمين، حتى بدا الكولونيل

«باول» على الباب الموصل إلى المنزل وهو يهدر كالبعير: «كولت»! هل أصابك مس من الجنون؟ لماذا بالله تصب جام انتقامك على أناس لا حول لهم ولا قوة؟ سوف تعلم «نيويورك» بأسرها غداً أن رئيس البوليس يستعمل وسائل وحشية مع غلمان المدارس ليحملهم على الكلام..

ـ خير لك أن تعترف يا عزيزي «باول» أنك تدافع عن قضية خاسرة..

فاستعاد المحامي هدوءه ورزانته، وقال في صوت يفيض حزناً:

ـ إنك يا صديقي تتبع أثراً خاطئاً، وتحاول أن تلصق التهمة بأرملة تعسة.. لقد وجدت معطفاً، فمن أين لك أنه يخص مسز «بيزلي»؟ ومن قال إن هذه البقع من الدماء؟ أليس من التعسف أن تتهم هذه الأسرة لمجرد أن معطفاً أرسل للتنظيف خارج «نيويورك»؟ يجب أن يكون للمرء عقلية رجل البوليس ليفهم ذلك!

فأجابه «كولت» وهو يبتسم:

ـ عندما يجد رجل البوليس معطفاً ملوثاً بالدماء، يخص زوجة الرجل الذي قتل البارحة، ويحمله ابن شقيق تلك الزوجة خفية إلى مدينة أخرى لتنظيفه، فهل ينبغي أن يكتف ذراعيه وينسب ذلك إلى محض المصادفة؟

ـ كان يجدر بك قبل أن تستنتج شيئاً معيناً، أن تطلب تفسيراً..

ـ يسرني أن أسمع هذا التفسير من فم مسز «بيزلي» نفسها.

ـ سوف تحصل عليه منها بعد شفائها من وعكتها.. ولكن ثق أن مسز «بيزلي» المسكينة بريئة من كل ما يتصل بهذه الجريمة.. بل إن أسرة القتيل لا تقل عني أو عنكم رغبة في إجلاء غوامض هذا السر المروع، ونحن جميعاً على استعداد للتعاون معكم..

ـ لماذا عارضت في تفتيش المنزل إذن؟

ـ إنني لن أعترض على ذلك بعد الآن، وقد أتيت خصيصاً لأعرض عليك أن تؤدي واجبك، ولكن لن تستطيع استجواب مسز «بيزلي» أو مستر «بادنجتون كرتنوود» اليوم لأنهما مريضان طريحا الفراش..

ولكن الرئيس هز كتفيه ساخراً وهو يقول:

ـ لست أرى ما يدعو للعجلة الآن.. وعندما أجد الوقت ملائماً لإجراء التفتيش فسوف أنبئك.

فلما انصرف المحامي لم أكتم «كولت» دهشتي من مسلكه فقال:

ـ ما دام هذا الثعلب العجوز هو الذي يعرض ذلك، فثق أنه لم يبق بالمنزل ما يستحق عناء البحث.. كما أنني الآن أكثر اهتماماً بمنزلين آخرين، هما مسكن «سوندرز»، ورقم ١٣ «سانجستر تراس».. فهناك ثغرات لا بد من ملئها قبل أن نقرر أمراً حاسماً..

وأسرع «كولت» خارجاً، وهو يستحثني، حتى إذا ما أسرعت بنا السيارة، تنهد قائلاً:

ـ إن ارتكاب الجريمة بين جدران ذلك المنزل اللعين تجعل من غير المحتمل أن نعثر على شاهد عيان لها.. ولكن لو أن أحداً رأى فرداً من آل «كرتنوود» يدخل المنزل أو يخرج منه، لكان لنا شأن آخر في الأمر..

فلما وقفت السيارة أمام مسكن «ويلي سوندرز»، وجدنا أحد المفتشين يهتف وقد فرغ لتوه من تفتيشه، فقدم للرئيس مفتاحاً صغيراً وجده في أحد الأدراج، قائلاً:

ـ إنه لم يجد شيئاً سواه قد يفيد التحقيق، خصوصاً أنه لا يفتح أياً من أبواب المسكن ففحصه الرئيس ملياً، ثم دعا سائق السيارة فأعطاه المفتاح وأصدر إليه أوامره في صوت خافت لم يسمعه أحد

منا..

وكانت «إيزابيلا» في البيت بمفردها، مع خالة لها.. أما «ويلي سوندرز» فقد جاء أثناء وجودنا وهو يترنح ثملاً، فما كاد يرانا حتى صاح:

- ألم يتقدم التحقيق بعد؟ وكيف بالله لم تقبضوا على مسز «بيزلي» حتى الآن؟

- ما الذي يدفعك إلى هذا القول يا «سوندرز»؟

- لا ريب أن شخصاً ما قد ارتكب هذه الجريمة، شخصاً يمقت عزيزتي «إيفلين».. وليس هناك من يمقتها أكثر من مسز «بيزلي» كما اعترفت هي نفسها.

- لمن قالت ذلك؟

- إنها «بيسي ستروبر» التي سمعت منها هذا الاعتراف.. وقد تذكرت هذا الأمر في صباح اليوم، فإن «بيسي» قابلتني في الطريق ذات صباح، منذ نحو عام، فوقفت لتقول لي إن مسز «بيزلي» غاضبة من خروج «إيفلين» مع المحترم «بيزلي»، وكثرة لقائهما، وقد نعتت «إيفلين» بأقبح الصفات، وقالت إنها لن تهدأ أو يقر لها قرار حتى ترى «إيفلين» راقدة في قبرها.. ولما كانت زوجتي قد لبثت مدة طويلة سكرتيرة «للقس» فلم أر في الأمر شيئاً يمس شرفها أو سمعتها، وأغضيت عن هذه الترهات..

فنظر إلي «كولت» نظرة ذات مغزى، إذ أن «بيسي ستروبر» لم تذكر لنا شيئاً من ذلك عند استجوابها في الصباح، بل لقد أكدت أنها لا تعتقد في صحة الإشاعات عن العلاقة بين «القس» وسكرتيرته السابقة.. وأخيراً قال «كولت» للرجل:

- سوف نتكلم في هذا الأمر فيما بعد يا «سوندرز»..

ودعا الرئيس «إيزابيلا»، فسألها:

ـ ألم تسمعي والدتك قط تشكو من ضياع أحد مفاتيحها يا «إيزابيلا»؟

ـ بلى.. ولكن كيف عرفت ذلك؟

ـ متى كان هذا الأمر؟

ـ منذ شهرين تقريباً..

وفي تلك اللحظة عاد سائق السيارة من مهمته، فحيا الرئيس وقال:

ـ إنه مفتاح ذلك الباب يا سيدي..

فأخذ «كولت» المفتاح ووضعه في جيبه دون أن يقول شيئاً، ولكنه عندما رأى حيرتي قال وهو يبتسم: ألم تحدس الحقيقة بعد؟ ومع ذلك فإنه أمر لا أهمية له أكثر من تأييد ظنوني فيما يختص بشبح الكنيسة، فهو مفتاح بابها الخارجي الذي كانت تستعمله «إيفلين سوندرز» في المساء لأخذ خطاباتها الغرامية أو وضعها.. أما الآن فهيا بنا إلى «سانجستر تراس».. ولكن دعنا نحضر «دوجرتي» أولاً..

وكان الأصيل قد أرخى على الكون أهدابه الوردية، عندما هبط الرئيس من السيارة يتبعه «دوجرتي» ثم أنا.. وكانت تنتظرنا هناك أنباء سارة، إذ أن الأمر الذي أصدره «كولت» منذ الليلة الماضية بالبحث في قاع النهر قد أثمر، فقد وجد فيه الغواصون صندوقاً مليئاً بآلات النجارة جميعاً، ومسدساً، ولفافة عظيمة من قماش سميك داكن.. فسأل «كولت» المفتش «فيجلي» إن كان قد فحص المسدس، فقال: إنه من طراز سميث عيار اثنين وعشرين، ولا تزال به أربع رصاصات..

فأمر «كولت» بإرسال المسدس إلى المركز الرئيسي لفحصه والتحقيق من أن نمرته مقيدة بالسجلات، ثم من مطابقته للرصاصتين اللتين استخرجتا من جثتي القتيلين.

وأشار «كولت» إلى اللفافة الكبيرة بعد ذلك فقال «فيجلي»:

ـ إنني لم أفحصها، ولكنها قطعة من القماش المشمع السميك كبيرة الحجم..

ـ هل تكفي لتغطية أرض حجرة فسيحة؟

ـ نعم يا سيدي الرئيس..

فأمر «كولت» بإحضارها إلى داخل المنزل، حيث تولى الرجال وضعها في حجرة الاستقبال المطلة على النهر بالطابق الأول، فإذا بها تطابقها كل المطابقة.. وعندئذ غمغم «كولت»:

ـ الآن عرفت كيف لم نعثر على آثار دماء لأول وهلة.. ولولا أن الماء قد محى آثار الدماء وبصمات الأصابع عن هذا المشمع وعن صندوق آلات النجارة، لكان لهذه الآثار أهميتها.. ومع ذلك فلنحاول فحصها..

وسرعان ما أرسلت هذه الأشياء أيضاً إلى المركز الرئيسي.. وفي الوقت نفسه دوى جرس التليفون فتناوله «كولت»، وعندئذ سمعنا ألغازاً ومعميات في إجاباته:

ـ هاللوا! نعم.. المفتش «لنجل»؟ لقد أحسنت يا صديقي؟ من الذي أنبأك بهذا؟ مندوب شركة التأمين؟ «نور فولك»؟ يجب التحقق من ذلك على الفور.. اتصل ببوليس «نور فولك» تليفونياً واطلب إلى رئيسه عن لساني أن يذهب لاستجواب الطبيب والممرضة.. كذلك قل لـ«هولاندر» أن يأخذ طائرته ويسرع إلى «نورفولك» لاستكمال التحقيق.. وأمره بأن يتصل بي تليفونياً في أية ساعة، إذا اهتدى إلى أي شيء جديد هناك..

ولم يطق «دوجرتي» صبراً، فسأل الرئيس عما هنالك، فأجابه:

ـ إنني أتبع أثراً جديداً يا عزيزي.. وقد لا يؤدي إلى أية نتيجة، ولكني أقسمت ألاّ أهمل شيئاً في هذه القضية..

وفي تلك اللحظة دخل أحد المفتشين مهرولاً وهو يقول:
ـ لقد وجدت شاهد عيان لمصرع «بيزلي سوندرز» يا سيدي الرئيس! . .

ـ ٧ ـ

احتاج «كولت» إلى دقيقتين كاملتين ليدرك أن المفتش كان مغالياً في أهمية النبأ الذي أتى به، فإنه لم يجد شاهد عيان للجريمة نفسها وإنما وجد امرأة لشهادتها قيمة بالغة الخطورة حتى أن «دوجرتي» لم يتمالك زمام أعصابه، وهم أن يصدر أمراً بالقبض على من جاء ذكرهم في تلك الشهادة.

وكانت هذه المرأة هي صاحبة مشرب الشاي. . فقد ظل المفتش طوال اليوم يعتصرها حتى أضافت إلى أقوالها السابقة أشياء جديدة. . وسرعان ما أمر «كولت» بإحضارها ليسمع شهادتها بنفسه، فإذا بامرأة فارعة الطول ضخمة الجسم لعلها من نسل العمالقة أنفسهم، تجيب على أسئلة «كولت» في صراحة ووضوح دون مداورة أو محاورة.

وتتلخص هذه الشهادة في أن «بيزلي» و«إيفلين سوندرز» كانا يترددان على حانوتها كثيراً خلال بضعة الأعوام الماضية، وكانت تسمعهما يتبادلان عبارات الحب والهيام، بل لقد سمعت «القس» ذات مرة يعد «إيفلين» بأنه سوف يجعل منها سيدة عظيمة ليس لها إلاَّ أن تأمر فتطاع. . كما سمعته يعرب لها عن أحزانه، بعد أن اكتشفت أسرته سر علاقتهما حتى لقد خيره «جيرالد كرتنوود» بين منصبه وبين «إيفلين». . .

أما ما رأته ليلة أمس فكان مشهداً عجيباً. . وصفته بقولها:
ـ إنني أستطيع من نافذة حجرتي أن أرى حديقة «سانجستر تراس». . وكان الأمس يوماً شديد القيظ فأغلقت المشرب مبكراً،

حوالي الساعة الحادية عشرة، وجلست بجوار تلك النافذة أستقبل نسيم النهر لعله يلطف حرارة الجو قليلاً.. وفي تلك اللحظة رأيت جماعة من الأشخاص مجتمعين في فناء المنزل رقم ١٣، فأدهشني ذلك لعلمي أن مستأجري هذه المنازل قد سافروا إلى مصايفهم.. وكان المجتمعون لا يثيرون ضجة، بل لقد خيل إليّ أنهم يتحادثون همساً ويروحون ويغدون في خطوات خفيفة.. وفجأة ابتعد أحدهم ودنا من مصباح قوي الضوء اعتاد الحارس أن يضعه كل ليلة، وعندئذ سقط الضوء كله على وجه تلك المرأة، ورأيت ملامحها جيداً كأننا في رابعة النهار.. ولم أعرفها وقتئذ.. إذ كانت غريبة عني لم أرها من قبل.. ولكنني منذ أن قرأت الصحف ورأيت الصور التي نشرتها عرفت هذه المرأة جيداً..

- هل أنت واثقة مما تقولين؟..

- كل الثقة.. فقد كانت المرأة زوجة «القس» نفسها.. مسز «تيموثي بيزلي»!..

فقال «دوجرتي» متجهماً: هل تقدرين خطورة شهادتك هذه يا سيدتي؟.. إنه اتهام صريح..

- اتهام مسز «بيزلي» بقتل زوجها و«إيفلين سوندرز»؟.. معاذ الله!.. إنني أجهل من الذي ارتكب هذه الجريمة يا مستر «دوجرتي»، ولكنني فقط رأيت مسز «بيزلي» في حديقة المنزل ليلة الأمس.

فسألها «كولت»: أتذكرين ما الذي كانت ترتديه؟..

- نعم.. كانت ترتدي معطفاً طويلاً داكن اللون ويخيل إلي أن على ياقته وأكمامه شيئاً يشبه الفراء.. فتبادلنا النظرات معاً إذ لم تكن الصحف قد ذكرت شيئاً بعد عن المعطف الملوث بالدماء، مما يدل على صدق المرأة، إذ أن مثل هذه الأمور الدقيقة لا يمكن اختلاقها..

وطلب «كولت» إلى المرأة أن تنتظر قليلاً في الحديقة، ثم طلب

إلينا أن نرافقه إلى شاطىء النهر حيث جلسنا على مقعد حجري كبير، فبدأ «دوجرتي» يقول وهو يفرك كفيه ابتهاجاً:

ـ يخيل إلي أن القضية قد بلغت نهايتها!..

ـ لعلك تعني ازدادت غموضاً؟..

ـ كيف ذلك؟... لم يبق في رأيي إلاَّ أن نواجه مسز «بيزلي» بهذه الشاهدة.. وبعدئذ سوف أعرف كيف أنتزع الحقيقة من آل «كرتنوود» المختالين المتكبرين..

ـ أخطأت يا عزيزي.. فإن الكولونيل «باول» لن يعدم وسيلة لتجريح شهادة هذه المرأة.. وفضلاً عن ذلك فإنها تتعارض مع بعض الحقائق التي نعرفها.. فقد رأت الشاهدة مسز «بيزلي» في الساعة الحادية عشرة في حين أن طلقات الرصاص كانت في التاسعة إلاَّ ربعاً.. ثم هل لك أن تذكر لي شيئاً من بواعث الجريمة، أو تصور لي كيف وقعت كما تبدو لك؟

ـ إنك تعلم أنه لا تزال تنقصنا بعض العناصر، ولكني أعتقد أن ما في يدنا الآن يكفي للحصول على اعتراف من آل «كرتنوود»..

ـ إن ما بيدنا لا يفيد شيئاً.. ثم ما هو تماماً؟.. المعطف وأقوال هذه المرأة التي تدير مكاناً مشبوهاً؟.. كلا يا «دوجرتي»، إنك لا تستطيع بهذه الأشياء أن تقهر «إليزابيث كرتنوود» وأخاها وإنما تلزمنا أدلة حاسمة..

ـ يخيل إلي يا «تاتشر» أننا نملك هذه الأدلة.. فدعني ألخص لك الوقائع التي عرفناها.. فـ«بيزلي» له عشيقة، وتعلم أسرته بالأمر فتعقد اجتماعاً تحظر عليه فيه رؤية هذه المرأة، فيتظاهر بالخضوع ولكنه يستمر على علاقته بعشيقته ويدبران أمر فرارهما معاً، فيتصل «القس» بوكالات السفر، ويستخرج الجوازات اللازمة

ـ مهلاً.. إننا لم نجد إلاَّ جوازاً واحداً باسم «بيزلي» فقط..

ـ هذا حق ولكن ربما كانت المرأة تريد الرحيل تحت اسم مستعار.. فلما اكتشفت الأسرة هذا الأمر، بواسطة المخبرين الخصوصيين، تأهبت لمنعه قسراً.. وفي الليلة المعهودة يلتقي العاشقان هنا، ليذهبا إلى المحطة.. وتعلم مسز «بيزلي»، فتخشى الفضيحة التي توشك أن تحل بها وبالأبرشية كلها، فتسرع مع أخيها «بدنجتون» ويقوم بينهما وبين زوجها نزاع شديد فتدعو أخاها «جيرالد» تليفونياً، حيث يخف إليها ويتشاجر مع «بيزلي» فيخرج مسدسه ويطلق رصاصتين فيقضي على العاشقين معاً.. وعندئذ يدرك آل «كرتنوود» مغبة ما وقع ويجدون قارباً فيضعون الجثتين فيه و...

ـ كفى.. إلى هنا وكفى يا عزيزي «دوجرتي».. فإن قصتك قد تكون معقولة إلى هذا الحد، ولكنك بدأت تتخبط في استنتاجاتك عندما أشرت إلى القارب فأرجو أن تفكر أولاً في هذه النقط.. من الرجل القصير الخجول الذي ابتاع الخشب وأرسل البرقية إلى «كراوس»؟. ولماذا ألقيت أدوات النجارة في النهر.. ومن الذي مد بساط المشمع في حجرة الاستقبال ليتلقى دماء الضحيتين؟. ومن الذي أحضر الأثقال الحديدية إلى هنا، ولأي غرض؟.. ولماذا ذبحت «إيفلين سوندرز» بعد موتها حتى كاد رأسها يفصل عن عنقها؟ ومن الذي كان مختفياً في الحجرة الصغيرة المجاورة؟..

وأخلد «كولت» إلى الصمت لحظة كان فيها «دوجرتي» يجفف عرقه وقد بدأ عليه الخجل من تسرعه. على حين استطرد «كولت»:

ـ إنني أتفق معك في الرأي بأن آل «كرتنوود» يعرفون عن هذه الجريمة أكثر مما يظهرون، ولذلك ينبغي ألا نهاجمهم إلا إذا كانت في أيدينا أدلة حاسمة.. أما الآن فالقضية مزيج من المتناقضات، وكلما فحصها المرء ازدادت دائرة شكوكه.. وفي رأيي أن الجريمة قد دبرت وأعدت معداتها قبل وقوعها بمدة طويلة، ولذلك سألت «إيزابيلا» إن

كانت أمها فقدت أحد المفاتيح. . فقد كنت أعلم أن مفتاحاً قد سرق من «إيفلين» أو من «بيزلي» أو من شخص آخر. . أما من الذي سرقه، وكيف؟. فهذا ما أجهله. . وإذا شئت فهناك شبهات تنهض ضد كل من اتصل بهذه القضية. . فإن «سوندرز» ـ مثلاً ـ إخصائي في صنع القوارب، وعلى علم بعلاقة زوجته بـ«القس». . كما أن «شادويك» يحب مسز «بيزلي»، فلماذا لا يسعى إلى الزواج من الأرملة الثرية؟. . ليس ذلك فقط فإنني إذا أردت فتحت لك آفاقاً غريبة. . فهناك أيضاً «بيسي ستروبر»، ومن المحتمل أن الغيرة كانت تنهش قلبها نحو «إيفلين سوندرز». .

فقاطعه «دوجرتي»: أوه!. . إنها فتاة عجوز ـ دميمة. .

ـ نعم إنها الآن كما تقول. . ولكنها لم تكن كذلك منذ خمسة أعوام. . فقد رأيت صورة لها لا تزال معلقة في مكتب «القس»، تمثلها جميلة ساحرة مرحة، وذات أناقة تحرك القلوب. . وقد تفقد المرأة سحرها خلال خمسة أعوام يا «دوجرتي»، ولكنها لا تزهد في الدنيا إلى هذا الحد، فتدع كل زينة، وتهجر كل أسباب الأناقة النسائية، ورغم أنها تربح الآن مرتباً كبيراً، فإنها ترتدي ثياباً رثة قديمة. . فما الذي بدلها كل هذا التبديل؟ ولماذا لا نقول إنها كانت خليلة «القس» بدورها، وإنها ارتكبت الجريمة بدافع الغيرة. . ولو أن أية امرأة لا يمكن أن تجد من رباطة الجأش ما يسمح لها بتنفيذ مثل هذه الجريمة الوحشية؟

فغمغم «دوجرتي»:

ـ إنك على حق يا عزيزي. . ولا تزال القضية غامضة كل الغموض. . فما الذي تراه الآن؟. .

ـ أود أولاً أن أعرف نتائج بعض المهام التي بعثت رجالي من أجلها. . كما يهمني أن أعرف من الذي أنبأ «شادويك» بالعلاقة

الغرامية بين «القس» و«إيفلين». . كذلك أود أن أعلم من خبير البصمات من الجاسوس الذي كان يفتح خطابات العاشقين ويقرؤها. .

ـ وماذا تريدني أن أفعل خلال ذلك؟

ـ إن رأيك في مواجهة مسز «بيزلي» بالشاهدة رأي عظيم. . فلنقسم العمل بيننا يا «دوجرتي». . تتولى أنت آل «كرتنوود»، وأقوم أنا بما تبقى. .

وبينما كان الصديقان يتصافحان قدم المفتش «لنجل» مسرعاً فقال: لقد وجدت نمرة المسدسات بالسجلات يا سيدي الرئيس، وأمكننا أن نعرف صاحب المسدس الذي ارتكبت به الجريمة، فهو ملك «جيرالد كرتنوود». .

فصاح «دوجرتي»، وقد هزه ذلك النبأ الذي يؤيد نظريته على طول الخط. . . بينما استطرد «لنجل» قائلاً:

ـ كما أننا وجدنا هذا في قاعة الاستقبال في الصباح، ونسيت أن أقدمه إليك. .

ووضع المفتش شيئاً في يد «كولت»، راح هذا يتأمله برهة، ثم تشممه، وأضاء مصباحه الكهربائي. . فاستطعت أن أرى في يده قفازاً من الجلد أسرع بوضعه في جيبه.

وبعد أن انصرف «دوجرتي» والشاهدة تحول «كولت» نحو «لنجل» فسأله:

ـ هل عرفتم صاحب هذا القفاز؟

ـ نعم. . فقد رآه الكولونيل «باول» بعد ظهر اليوم، وهو الذي أرشدني إلى الحرفين الأولين من اسم صاحبه، منقوشين في داخله. . وهما. . ت. ب. .

وكان صوت «كولت» يفيض بالانفعال والسرور عندما تحول

نحوي قائلاً:

ـ إن هذا القفاز يقدم لي الدليل الذي كان ينقصني يا «توني». ذلك الذي كنت أبحث عنه عبثاً من باديء الأمر.. وهأنذا قد بدأت أرى كل شيء في وضوح.. ولكن الوقت متأخر الآن فهيا بنا إلى منزلي..

وما أن خلوت مع «كولت» في قاعة المكتبة حتى أشعل غليونه وقال:

ـ سوف تنام الليلة في حجرة الأضياف يا «توني»، لأننا سنستأنف العمل في الصباح المبكر.. ولو أنني أخشى ألَّا أستطيع النوم الليلة لكثرة ما يختلط في رأسي من الأفكار.. ففي هذه القضية المشئومة تهدم كل نظرية النظرية الأخرى، بينما هذه النظريات جميعاً تتعارض مع الحقائق المعروفة.. وصدقني يا «توني» أن تصوير «دوجرتي» للجريمة، رغم ضعفه، قد أثر في بما يبدو فيه من شبه بالحقيقة.. وإنه لشيء مروع أن يضطر المرء إلى الارتياب في امرأة بأنها ارتكبت مثل هذه الجريمة المتسمة بطابع الجرأة والوحشية.. وسوف نقض مضجع «إليزابيث بيزلي» ومعطفها الملوث بالدماء، رغم أن صوتاً عميقاً يهتف بي من قرارة نفسي بأنها بريئة كل البراءة..

ولم أكد أفتح فمي لأعلق على هذا القول حتى قرع جرس التليفون فأسرعت أتناوله ثم قلت وأنا لا أخفي دهشتي: إنه بوليس «نورفولك» يا سيدي..

وأصغى «كولت» برهة، وعلى محياه دلائل الاهتمام، ثم صاح بغتة:

ـ ماذا؟ سم؟ هل أنت واثق من ذلك؟ متى؟ يناير ١٩٢٧؟ هل لك يا عزيزي أن تبعث لي بملف هذا الموضوع مع الكابتن «هولاندر»؟ قل له إنني أنتظره في مكتبي في الصباح.. شكراً لك..

فنظرت إلى «كولت» نظرة تساؤل، وقد فهمت من تهدج صوته أن هذا الحديث التليفوني ذو أثر حاسم في القضية. .ولكنني وقد نهشني الفضول بأنيابه الحادة، رأيت «كولت» يمد لي يده وهو يقول مبتسماً: طابت ليلتك يا «توني»؟

* * *

كنت في المكتب بجوار الرئيس منذ الساعة التاسعة صباحاً، فإذا بمستر «شادويك» يأتي بناء على طلب الرئيس، فقال له «كولت»: إنني لن أسألك إلاَّ سؤالاً واحداً يا مستر «شادويك». . من الذي أطلعك على سر المحترم «بيزلي» ومسز «سوندرز»؟

فأخرج الرجل من جيبه خطاباً قدمه إلى الرئيس في صمت. . فقرأه بصوت عال وإذا به: «مستر «شادويك». . إن المحترم «بيزلي» على علاقة أثيمة بـ«إيفلين سوندرز». . وإذا شاعت هذه الفضيحة فسوف تلبس طائفتنا عاراً لا يمحى. . ومن حقك أن تتحقق من هذا الأمر. . فأسرع لأن أي تأخير من جانبك سوف يؤدي إلى عواقب وخيمة قد تذهب إلى حد القتل. .

أحد أفراد الطائفة

- هل وصلك هذا الخطاب بالبريد؟
- نعم. . في شهر إبريل. .
- شكراً لك يا مستر «شادويك». . طاب يومك. .

فلما انصرف الرجل وضع «كولت» الخطاب مع القفاز الذي وجد بالأمس في درج مكتبه، ثم طلب إلى أحد الجند أن يدعو مسز «بازيل هوارتون». .

وجاءت السيدة العجوز تتوكأ على عصاً، فاستقبلها «كولت» واقفاً، حتى إذا ما جلست بدأت تدلي بشهادتها لتحمل إلينا مفاجأة

جديدة.. فقد ذكرت أنها لم تعد تملك المنزل رقم ١٣ بـ«سانجستر تراس»، إذ أنها باعته.. وكانت قد ورثت هذا المنزل من أبيها ولكنها لم تقطنه إلاّ بعد وفاة بعلها.. بيد أنها كانت كثيرة الرحلات والأسفار، ففضلت أن تقيم في الفندق، وتؤجره مفروشاً، وسرعان ما وجد وكيلها مستأجراً قدم أجراً مناسباً وضمانات قوية.. ولم يكن ذلك المستأجر سوى مسز «إيفلين سوندرز»، وأما الضامن فهو القس «بيزلي».. وفي فبراير الماضي تلقت عرضاً لشراء المنزل بثمن مغر كان من الجنون أن ترفضه، خصوصاً أن المشتري عرض أن يشتري الأثاث كله، وألاّ يطالب بالسكنى فيه إلا بعد انتهاء عقد مسز «سوندرز».. وقد تم البيع دون أن ترى المشتري، ودفع إليها الثمن نقداً بواسطة أحد الموثقين في «شيكاغو» نيابة عن عميله مستر «دانيل داريل».. أما الموثق فيدعى «بلدن»..

وما أن انصرفت مسز «هوارتون» حتى اتصل «كولت» برئيس البوليس في «شيكاغو» وطلب إليه أن يتحرى لدى الموثق «بلدن» عن أوصاف شخص يدعى «دانيل داريل»، اشترى المنزل رقم ١٣ بـ«سانجستر تراس» في شهر فبراير. ووعد «كولت» زميله بأن يرسل إليه باللاسلكي صور بعض الأشخاص لعرضها على موظفي مكتب الموثق لعل بينهم ذلك المشتري المجهول.

وسرعان ما استدعى «كولت» المفتش «فيجلي» وكلفه بأن يرسل إلى «شيكاغو» صور «جيرالد» و«بادنجتون كرتنوود»، والكولونيل «باول»، و«أليري شدويك»، و«ويلي سوندرز»..

وفي هذه الأثناء كان «سوندرز» وابنته قد حضرا تلبية لطلب «كولت»، فقال هذا للفتاة:

ـ لقد سألتك بالأمس عما إذا كانت أمك قد شكت من فقد أحد المفاتيح.. فهل تعتقدين أن أحداً ممن يترددون على منزلكم كان

في وسعه أن يخفي هذا المفتاح ريثما يصنع مثله؟
ومن الذي تشكين فيه أكثر من الآخرين؟

ـ لست أدري يا مستر «كولت».. ولكن لم يكن يتردد علينا إلّا بعض صويحبات والدتي.. مثل «بيسي ستروبر» و«إيما هيكس» وغيرهما من الفتيات المرتلات.. ولكني لا أستطيع أن أتهم واحدة بعينها.

ـ إذا أردت أن تنتقمي لوالدتك من قاتلها يا «إيزابيلا» ففكري جيداً فيما سأسألك عنه.. ألا يوجد شيء تعرفينه ولم تخبريني به بعد؟

ـ بلى يا مستر «كولت».. ففي شهر مارس أو إبريل تلقت والدتي خطاباً غفلاً من الإمضاء، لا ريب أن الذي كتبه شخص مجنون، إذ كان ينصح والدتي بالحذر والتعقل لأن هناك من يحاول أن يدس لها السم..

فانتفضت، ونظرت إلى الفتاة ذاهلاً مشدوهاً.. فهذه هي المرة الثانية التي أسمع فيها كلمة (السم).. سمعتها من «كولت» وهو يحدث زميله في «نورفولك» ليلة الأمس، وهأنذا أسمعها الآن من الفتاة.. ففي أي طريق يسير التحقيق الآن؟

وسألها «كولت»: وأين هذا الخطاب؟

ـ لقد أحرقته والدتي في الحال.. ففتح درج مكتبه وأخرج الخطاب الذي أخذه من «شادويك» وعرضه على الفتاة فقررت أن الخطاب الذي تعنيه كان محرراً بالخط نفسه..

وعند هذا الحد دخل «ويليامز»، خبير البصمات ليقدم تقريره للرئيس، فأسرع هذا يصرف «سوندرز» وابنته..

ونشر «ويليامز» رسومه وصوره فوق منضدة كبيرة، ثم بدأ يوضحها، فقال:

ـ لدينا أولاً ثلاث مجموعات التقطت من فوق الكتب القديمة في

الكنيسة، إحداها لـ«بيزلي» والثانية لمسز «سوندرز» أما الثالثة فللفتاة التي تدعى «بيسي ستروبر».. وقد وجدت أيضاً بصماتها فوق وعاء الصمغ الذي أرسلته إلي..

فنظر إليّ «كولت» قائلاً: لقد عرفنا الآن أن «بيسي ستروبر» هي التي كانت تتجسس على العاشقين وتفتح خطاباتها فتقرؤها وتعيد لصقها.. فلماذا؟..

ثم تحول إلى «ويليامز» يسأله:

- هل وجدت بصمات على صندوق أدوات النجارة والأثقال الحديدية؟

- وجدنا الكثير منها عليها.. وهي كلها بصمات المحترم «بيزلي»..

فهتف «كولت» يسأل في لهفة: والبصمات التي كانت مطبوعة على التراب في الحجرة الصغيرة المجاورة لحجرة الجريمة؟.. هل عرفت صاحبها؟

وفي اللحظة نفسها قرع جرس التليفون، فاضطررت للابتعاد على مضض، تاركاً «كولت» و«ويليامز» يتأملان صور البصمات في اهتمام بالغ.. وكان رئيس بوليس «شيكاغو» يطلب التحدث إلى رئيسي، فأخذ يصغي لحظة، ثم شكر زميله وأعاد السماعة إلى مكانها.. ولا ريب أنه أشفق علي من نيران الفضول، فقال: لقد استطاع زميلي أن يجلو نقطة هامة يا «توني»، حتى قبل أن تصله الصور باللاسلكي.. فقد عرف موظفو مكتب «بلدن» مشتري منزل «سانجستر تراس» من الصور التي نشرتها الصحف، ولم يكن سوى القس المحترم «تيموني بيزلي»!..

- ٨ -

وبينما كان «كولت» منهمكاً في فحص صور البصمات مع «ويليامز»، وقد بدأ واجماً شارد الذهن، أخطر بأن المفتش «لنجل» والكابتن «هولاندر» يطلبان مقابلته، فأسرع باستدعائهما حتى إذا ما جاء كان التعب بادياً في أسارير الطيار الذي راح يقول:

ـ لقد جئت لتوى من «نورفولك» يا سيدي الرئيس، وانصرفنا في الحال إلى العمل هنا، المفتش «لنجل» وأنا، فوجدنا ما كنا نبحث عنه.. ليس ذلك فقط، وإنما أحضرناه معنا.. وقد نفذنا أوامرك بحذافيرها، إلاَّ أننا أحضرنا شخصين بدلاً من واحد، إذ أصرت المديرة على مصاحبتنا

وكانت هذه الأقوال بالنسبة لي أشبه بالأحاجي والمعميات..

وسمعت «كولت» يسأل الضابط:

ـ أين هي الآن؟..

ـ في السيارة أمام الباب..

فنظر الرئيس في ساعته ثم قال:

ـ الساعة الآن الثالثة بعد الظهر.. فخذهما إلى نزهة حتى الساعة السابعة، ثم قدهما إلى المنزل رقم ١٣ بـ«سانجستر تراس»، ودعهما يصعدان إلى الطابق العلوي مباشرة حيث تضعهما في الحجرة الصغيرة المطلة على النهر، وتظل تحرس الباب بنفسك حتى يبلغك مستر «بوت» بتعليماتي... وقد دعوت بقية الأشخاص للاجتماع في الساعة الثامنة، وعليك يا «لنجل» أن تجلسهم في الطابق الأسفل بالحجرة الكبرى...

فلما انفردت برئيسي بعد لحظة لم يتسع لي الوقت لسؤاله عن هذه الألغاز، إذ هرع إلى التليفون فاتصل بمستر «دوجرتي» وطلب إليه أن يحضر آل «كرتنوود» جميعاً والكابتن «باول» إلى «سانجستر تراس»

في الساعة الثامنة مساء..

وما كاد يفرغ من هذا الحديث حتى التفت نحوي قائلاً:

ـ سوف آخذ على عاتقي استدعاء «ويلي سوندرز» وابنته وباقي من يخصهم الأمر، أما أنت يا عزيزي «توني» فإني أنصح لك بأن تنظم مذكراتك وتكتبها على الآلة الكاتبة، إذ لم تبق إلا أربع ساعات قبل أن يرفع الستار الأخير..

وظل «كولت» معي طيلة هذه المدة حتى إذا ما انتهى من قراءة ما كتبته، قال:

ـ لا يوجد إلا حل وحيد لهذه القضية الشنعاء يا «توني».. وإنها صورة الرحلة هي التي وضعتني على الأثر الصحيح.. ولكني كنت أتخبط في الظلام حتى رأيت ذلك القفاز في مساء الأمس.. وعندئذ بزغت الحقيقة أمام عيني سافرة ناطقة.. أتسألني لماذا؟.. لأن قفاز اليد اليمنى كانت به رائحة البارود.. وأمامنا مهمة قاسية الآن يا «توني»، ولكني لا أرى وسيلة أخرى أمامي.. فهيا بنا.

ودخلنا منزل الجريمة من بابه الخلفي، فعلم «كولت» من أحد المخبرين أن جميع الأشخاص الذين أمر باستدعائهم قد حضروا وجلسوا في الطابق الأسفل، وهم: مسز «بيزلي» وأخواها، و«ويلي سوندرز» وابنته، والكولونيل «باول» و«بيسي ستروبر» و«إيما هيكس» و«أليري شادويك»، وصاحبة مشرب الشاي «وكراوس» الحارس الليلي.. أما وكيل النيابة فينتظر بالطابق العلوي، في حجرة الجريمة

وارتقيت الدرج خلف رئيسي وقلبي يحدثني بأن كارثة داهمة على وشك الوقوع، حتى إذا ما بلغنا قاعة الأستقبال بالطابق الأول كان «ميرل دوجرتي» يذرعها ذهاباً وجيئة في قلق، فقابل «كولت» بهذه الكلمات: «كولت»!.. أية مؤامرة جديدة تحوك خيوطها أيها العجوز؟..

ـ ألم أقل لك إنني في صدد أثر جديد يقلب القضية رأساً على عقب؟.. ولكن ماذا صنعت اليوم مع «إليزابيث بيزلي»؟..

ـ لا شيء.. فقد ضيقت الخناق عليها وعلى أخويها فلم ينحرفوا عن أكاذيبهم السابقة... ولكن هلا جلوت لي السر الآن يا «كولت»؟.. وهلا قلت لي لماذا جمعت كل هؤلاء الناس الذين ينتظرون في الطابق الأسفل؟

ـ الواقع أنني لا أدري بعد ما الذي سنخرج به من هذا الاجتماع.. غير أن بعض القرائن الصغيرة أوحت إلي بنظرية معينة.. أما هل هذه النظرية صحيحة أم لا فستعرف ذلك معي في نفس الوقت..

فتنهد «دوجرتي» وقال: ومتى سيرفع الستار الأخير؟

ـ الآن.. فيوجد في الطابق الأول.. أحد عشر شاهداً ينتظروننا، وفي رأيي أن واحداً منهم فقط هو الذي نرجو أن نعرف منه اسم القاتل.. وهذا الشاهد الرئيسي كان من سوء الحظ أننا أهملنا شأنه من مبدأ الأمر ولم نعره اهتماماً كافياً..

ـ من؟ «بادنجتون كرتنوود»؟

ـ كلا.. بل «بيسي ستروبر».. وإنني أعلق أهمية عظمى على هذه الفتاة التي كانت جميلة أنيقة ثم هجرت فجأة كل متاع الحياة والزينة.. فلماذا تصر على العمل مع أن أبويها في حالة ميسورة وفي وسعهما أن يعولاها؟.. وأين تذهب نقودها؟.. إنني شديد الرجاء في أن نجد الإجابة على هذه الأسئلة شعاعاً منيراً يضيء لنا الطريق في هذه القضية.. فهل لك يا «توني» أن تأمر بإحضارها؟..

وكانت السكرتيرة السابقة للمحترم «بيزلي» ترتعد فرقاً وهي تجتاز باب الحجرة التي ارتكبت فيها الجريمة، وما لبثت أن تهاوت على المقعد الذي قدمه إليها «كول» وهي تلقي حولها نظرات ملأى

بالذعر والفزع.. وبدأ «كولت» يقول لها في لين ودعة:

ـ لقد خطر لي يا مس «ستروبر» أنك قد تستطيعين مساعدتي في إجلاء غوامض هذه المأساة الشنيعة، ولذلك سألقي عليك بضعة أسئلة أرجو أن تجيبي عليها بصراحة، رغم أنها قد تكون ذات طابع شخصي بحت.. فهل تذكرين رحلة ذات يوم جميل من أيام الخريف منذ خمسة أعوام أو ستة؟

ـ رحلة خلوية؟ لقد قمنا بالكثير منها مع أطفال الأبرشية.. ولكنني لا أرى علاقة..

ـ مهلاً.. فإنني سأذكرك بهذه الرحلة بالذات.. لقد كنت يومئذ ترتدين قبعة من الصوف تلائم وجهك كل الملاءمة، وهي أشبه بخوذة رومانية.. وكنت تضعين في قدميك حذاء عالي الكعب أنيق الشكل، كما كنت تضعين في أذنيك نفس القرط القديم الذي تضعينه اليوم..

وكان لهذا الوصف البسيط الذي يرويه «كولت» نقلاً عن الصورة المعلقة في مكتب «القس» أثر شديد الوقع على «بيسي ستروبر»، فلمحت شفتيها ترتعدان، وعينيها ساهمتين شاردتين، وظلت برهة لا تقوى على الإجابة.. وأخيراً غمغمت: ربما ففي ذلك الحين كنت لا أزال في مقتبل العمر أعني بهندامي.. ولكن لماذا تحدثني عن ذلك الآن؟

ـ لقد كنت جميلة وقتئذ.. ومع ذلك فقد تغير فيك شيء بغتة.. ولست أعني أن جمالك ذوى فجأة.. كلا.. بل إنك انصرفت دفعة واحدة عن الزينة والتجمل، وفقدت كل رغبة في الظهور بمظهر الشباب والفتنة.

ـ إنني أسألك للمرة الثانية يا مستر «كولت»، لماذا تقول لي هذه الأشياء اليوم؟

ـ لقد تبين من تحرياتي لدى أصدقائك أن هذا التبدل الفجائي

اعتراك منذ اليوم الذي عدت فيه من رحلتك الطويلة فوجدت «إيفلين سوندرز» قد حلت محلك عند المحترم «بيزلي»..

وكانت الفتاة تصغي لهذه الكلمات وهي تحدق في الفضاء أمامها، لاهثة الأنفاس، وما لبثت أن أجابت: لقد كنت مريضة وأشار علي الطبيب أن أمتنع عن العمل.. ومنذ ذلك الحين ساءت صحتي فلم تصلح بعد ذلك.. ولكن ما علاقة هذا كله بالقضية؟

- متى تركت مركزك كسكرتيرة للقس «بيزلي»؟

- منذ نحو خمس سنوات.. كنت مريضة وفي حاجة إلى الراحة.. وقد نصحني هو نفسه بالرحيل..

- إلى أين ذهبت؟

- لدى أصدقاء لي في «دنفر».. «كلارا كولبي» وزوجها..

- وكم من الوقت قضيته عندهما؟

- ثلاثة أشهر أو أربعة..

- لا ريب أنك كنت تعرضين نفسك على طبيب هناك، فماذا قال عن مرضك؟

- انهيار عصبي، وفقر دم..

فنهض «كولت» وسار نحوها وئيداً، ثم قال:

- لست أريد أن أجرح شعورك يا مس «ستروبر»، ولكن أما كنت تكرهين «تيموثي بيزلي»؟

- كلا..

- إنني أعرف أنك كنت تقرئين الخطابات التي كان يتبادلها مع «إيفلين سوندرز» خفية، وقد كتبت إلى «شادويك» منذرة، وإلى «إيفلين» محذرة من خطر يتهددها.. فلماذا؟ يجب أن تجيبي عن هذه الأسئلة..

- لا يمكنني.. ومع ذلك فإني لا أفهم..

فمضى «كولت» نحو الحجرة المظلمة وفتح بابها على سعته قائلاً: ـ وأكثر من ذلك فإني أستطيع أن أريك الآثار التي تركتها أصابعك على جدار هذه الحجرة..

فهتفت الفتاة في صوت مبحوح وقد اتسعت حدقتاها رعباً:

ـ كلا.. كلا.. يا إلهي! رحمة بي.. دعني أذهب يا مستر «كولت».. دعني..

ولكن الرئيس استطرد وهو يمسك بكلتا يديها:

ـ إنك تخفين عني شيئاً.. وإني على يقين من ذلك.. فصارحيني بالحقيقة..

ـ كلا.. كلا.. لن أقول لك شيئاً قط..

ومدت ذراعيها إلى الأمام مستنجدة، ثم انخرطت في البكاء فتركها «كولت» برهة قبل أن يقول مستطرداً: إنك لم تذهبي إلى «دنفر».. بل إلى «نورفولك»..

فكفت الفتاة عن النحيب بغتة، وراحت تحدق النظر إلى «كولت» كالمصعوقة.. فأردف:

ـ لا جدوى من الكذب يا مس «ستروبر».. فقد اقتفينا أثرك منذ بدء التحقيق.. وعرفنا أشياء كثيرة عنك.. منها أنك تقترين على نفسك لأن أعباء باهظة تثقل كاهلك..

ـ أتوسل إليك أن تكف عن ذكرها يا مستر «كولت»، فليس ذلك من العدل في شيء.. لقد أرهقت نفسي بالعمل وأفنيت فيه قواي دون أن أمتنع عن أية تضحية..

ـ ألا زلت تصرين على أنك لا تكرهين القس «بيزلي»؟..

ـ أقسم أنني لم أبغضه قط..

ـ حتى بعد أن حاول قتلك؟

ـ ما الذي يدعوك إلى هذا القول؟.. إنني لا أفهم ما تعنيه..

ـ لقد أعطاك «بيزلي» عقاراً، ولكنك لم تتناوليه.. وخيراً فعلت، إذ كان سماً زعافاً.. هل تجرئين الآن على الإنكار؟

ـ رباه!.. رباه!.. رحمة بي..

وعاد «كولت» يمسك بكتفيها في قوة وهو يقول:

ـ إنني لا أريد أن أعذبك يا صغيرتي، ولكن ليس من حقك أن تناهضي القانون.. وإني أسألك للمرة الأخيرة: هل أنت على استعداد لأن تخبرينا بما تعرفينه عن هذه الجريمة؟

ـ كلا.. لا أستطيع.. إنني أفضل الموت..

وعندئذ سار «كولت» إلى الباب ففتحه ونادى المفتش «لنجل»: ثم قال للفتاة: ـ هل لك أن تنظري إلى هذا الباب يا مس «ستروبر»؟..

فأطاعت التعسة ورفعت عينيها لترى أمامها امرأة طويلة تمسك في يدها بطفل صغير في نحو الرابعة من عمره ذي شعر أشقر مجعد، كان يفرك عينيه وهو ينظر إلى «كولت» في حيرة دون أن يرى أحداً غيره، إذ أغلق الباب فجأة فحجب عنا المرأة والغلام..

وكانت «بيسي ستروبر» قد اندفعت إلى الأمام كنمرة متوحشة، ولكن «كولت» تلقاها بين ذراعيه وهي تصيح كالمجنونة: ولدي.. ولدي.. ماذا تريدون أن تصنعوا بصغيري؟..

ـ فحملها «كولت» إلى الأريكة.. وعندئذ كفت عن النضال بغتة، وظلت برهة جامدة بين ذراعيه بلا حراك، بينما كان يقول لها في رفق: رفق:

ـ لا تخشي شيئاً يا ابنتي، فإن ابنك في أمان بين يدي البوليس.. ولكن ماذا عسى أن يصيبه إذا اضطررت إلى القبض عليك؟ فكري جيداً في مستقبل ابنك، واذكري لي الحقيقة.. فغمغمت الأم التعسة: سوف تعرفون كل شيء...

كانت «بيسي ستروبر»، وهي تروي لنا قصتها، لا تناضل في سبيل نفسها، وإنما في سبيل ابنها. . فقد وعدها «كولت» بأن تذهب إليه متى فرغت من قصتها. . وعندئذ قوي عزمها، وجلست على الأريكة تنظر إلينا واحداً بعد الآخر، وقد شحب وجهها حتى حاكى الأموات. . وفي صوت خافت متهدج بدأت تقول:

ـ عندما غدوت سكرتيرة للمحترم «بيزلي»، كنت أحبه. . دون أن يكون لي مطمع سوى أن أعمل من أجله، وأعيش في ظله. . فلما أن مضت أيام قلائل، حتى أدركت أنه لم يكن سعيداً في داره، إذ كانت مسز «بيزلي» تدخل عليه المكتب بين لحظة وأخرى لتملي عليه أوامرها، وتفرض عليه آراءها. ولكنه رغم ذلك لم يكن يفكر في الانفصال عنها وهي شريكة حياته، وشريكته في مطمحه الوحيد وهو أن يغدو مطراناً، ولكني وأنا البريئة التعسة وقتئذ، خلته يعاني خشونة هذه المرأة وقسوتها، ويحتاج إلى من يوليه عطفاً وحناناً. . وأنت تعرف إلى أين قادتني هذه الأوهام وكنت في سن أدرك معها حقيقة الأمور ونتائجها، فلم أفكر لحظة في أن أعكر صفو تلك الأسرة، ولم أطمع البتة في الزواج من «القس». . بل كانت كل سعادتي في أن أعيش بالقرب منه، ولكني كنت من البلاهة بحيث ظننت أن ذلك يمكن أن يدوم طويلاً. . وذات يوم واجهت الحقيقة الواقعة. . وتبينت أنني سوف أغدو أماً. . فأخبرته بذلك. . ولكنه تلقى النبأ على أسوأ ما يتلقاه إنسان، ومضى إلى حد اتهامي بأنني قد غدرت به لأضعه في مركز حرج، وليمكنني أن أملي عليه إرادتي، ومنذ ذلك اليوم بدأت متاعبي. . ولم تمض أيام قلائل حتى وضع في يدي علبة من الحبوب قائلاً إنها سوف «تصلح الأمور». . فقبلتها منه دون اعتراض، ولكني في قرارة نفسي كنت قد عولت على ألا آخذ شيئاً منها. . لا ريبة أو شكاً في حقيقة مقصده، ولكن لأنني أردت هذا الجنين، ثمرة حبنا

العظيم الباهر.. فما الذي يتبقى لي إذا أنا قتلت ذلك الغلام..؟ لا شيء.. في حين أنني كنت أشتهي أن أغدو أماً رغم «بيزلي» ورغم كل شيء...

وأخبرته أنني أفضل مغادرة المدينة، وآخذ إجازة طويلة.. فنصح لي بالرحيل بلا إبطاء.. وكان فرحه بهذا القرار عظيماً، رغم محاولته إخفاءه.. فسافرت إلى «نورفولك» حيث ظللت إلى أن وضعت ابني.. وكنت أتحدث مع الممرضة ذات يوم، فأخبرتها عن الحبوب التي كنت أريد ابتلاعها فطلبت أن تراها.. ولا ريب أن رجالك قد تحدثوا إلى هذه الممرضة يا مستر «كولت».. فإنها بعد قليل أخبرتني بأن كلاً من هذه الحبوب تحوي جرعة كبيرة من السم تقضي على المرء بعد ساعات قلائل.. وكان ابني يرقد في مهده إلى جانبي، عندما أغمى علي.. ولا أدري كم لبثت على هذه الحال، ولكنني عندما أفقت ظللت طويلاً مسلوبة اللب، أفكر في عمق الهاوية التي كنت على وشك أن أتردى فيها.. وفي ذلك اليوم أيضا تبينت مدى نذالة الرجل الذي أحببته، وشكرت الله إذ خرجت على قيد الحياة من هذه المغامرة الفظيعة.. فلما عدت إلى «نيويورك» أودعت ابني داراً خاصة لكفالة الطفل، ورحت أبحث عن عمل لنفسي حتى أستطيع الإنفاق عليه دون أن يعرف أبواي شيئاً..

وكانت «إيفلين سوندرز» قد حلت محلي لدى المحترم «بيزلي».. كما أنني لم أنقطع عن الكنيسة.. وكانت أول مرة ذهبت بعد عودتي في يوم أحد من شهر فبراير، فجلست في مكاني المعهود.. ورآني القس في اللحظة التي بدأ فيها صلواته، فأجفل كأنه رأى شبحاً.. فإنه عندما انقطعت أخباري كان قد اطمأن إلى موتي.. وما كان ينبغي أن يخشى شيئاً من ناحيتي، لأنني كنت قد عولت على ألاّ أتدخل في شئونه، حتى بعد أن أدركت أن «إيفلين سوندرز» قد حلت محلي في

كل شيء.. ولا ريب أنك تفهم ما أعنيه.

وكان أول ما خطر لي هو أن أحذر «إيفلين».. ولكني عدلت عن ذلك لعلمي أنها امرأة متزوجة وليس لي أن أتدخل في شئونها.. فظلت الحياة تمضي هادئة ناعمة أكثر من سنتين بالنسبة لنا جميعاً.. وكنت قد اعترفت لوالدي بالحقيقة، فأرادا أن يتبنيا الطفل حتى يمكن أن يعيش في منزلنا، وفي الوقت نفسه كان «بيزلي» وعشيقته، الجديدة ينعمان بحبهما في حذر وحرص... ولم أكن أفكر فيهما البتة عندما تسرب سرهما فجأة، واضطرت «إيفلين» إلى ترك منصبها فخلفتها فيه «إيما هيكس» فسكتت الألسن، وعاد الهدوء يشمل الأبرشية حتى شهر فبراير الماضي.. ففي ذلك الحين علمت.. بأمرين تبينت فيهما ما ينذر بالخطر الداهم، أولهما أن أسرة القس كانت تسعى حثيثاً لتحصل له على ترقية كبيرة، والثاني أن «إيفلين» كانت تظن نفسها حاملاً.. ولم يكن سراً أن «ويلي سوندرز»، منذ أن أصيب بذلك الحادث الذي قصم ظهره من أعوام مضت، لا يمكن أن ينجب أطفالاً.. فإذا وضعت «إيفلين» طفلاً كانت فضيحة مدوية في الأبرشية كلها..

فسألها «كولت»: وكيف علمت أن مسز «سوندرز» تظن نفسها حاملاً مع أن الطبيب أثبت فيما بعد أنها لم تكن كذلك؟

ـ كنت ذات يوم أهبط الدرج الصغير خلف الأرغن فسمعتهما يتحدثان عن هذا الأمر دون أن يرياني.. وما كان لي أن أتدخل لولا أن رحت أرتجف كلما فكرت فيما تتعرض له «إيفلين» من خطر.. فقد أراد «بيزلي» أن يدس لي السم لأنني كنت حاملاً، ولا ريب أنه سيعيد الكرة مع تلك المنكودة!.. وعندئذ كتبت خطاباً إلى مسز «شادويك»، وآخر إلى «إيفلين».. وقد كان ذلك طيشاً مني، ولكني ظننت أنني بهذه الوسيلة أنقذ «إيفلين» دون أن يشك أحد في أمري.. وبعد قليل أخبرتني «إيما هيكس» أنها تعتقد أن «بيزلي» و«إيفلين» يدبران خطة

للفرار معاً.. وكنت أعرف التعس جيداً بحيث أدرك أنها خدعة منه، ووسيلة لكسب الوقت ريثما يعد في هدوء عدته لعمل حاسم.. وإذا كان قد أخذ تذكرة واحدة على الباخرة فلنفسه كي يركن إلى الفرار إذا ما تحولت الأمور ضده واضطر إلى الهرب..

ودفعتني أقوال «إيما هيكس» إلى التجسس على الحبيبين، كنت قد رأيته مرة، وأنا مختبئة خلف الأرغن، يضع خطاباً في فجوة في الجدار خلف الكتب القديمة.. وقرأت خطاباتها جميعاً، وأنا عازمة على التدخل إذا ما أحسست بالخطر يهدد «إيفلين».. وانتهزت فرصة زيارتي لها ذات مرة فأخذت مفتاح منزل «سانجستر تراس» وصنعت مفتاحاً مطابقاً له..

وبعد فترة من الرقابة الدقيقة، فهمت من خطاباتها ما يقطع بصحة ما سمعته من «إيما هيكس» عن مشروعهما للفرار.. فسوف تزعم «إيفلين» أنها في حاجة إلى السفر عند إحدى شقيقاتها لتبديل الهواء، ولكنها في الحقيقة كانت ستقابل «بيزلي» هنا.. ثم يبحران معاً على إحدى البواخر التي تقلع في الليلة نفسها إلى «الصين».. وهذا ما كان يزعمه لها.. ولكنني كنت أرتعد لمجرد التفكير في المصير الهائل الذي ينتظر المرأة المسكينة منذ اللحظة التي تغدو فيها بمفردها، بعيدة عن أسرتها، بين براثن ذلك الوحش في منزل منعزل كهذا..

فاعتزمت أمراً.. ذلك أن أحضر أنا الأخرى إلى هذا الموعد، لأحاول أن أنقذ «إيفلين» من الخطر الذي تهددها.. وكنت أتوقع ثورة عنيفة من «بيزلي» عندما يراني أتدخل بينه وبين «إيفلين»، وفي الوقت نفسه لاحظت ظاهرة غريبة غير مألوفة في الحجرة، إذ كانت أرضها مفروشة ببساط كبير من المشمع الأسود السميك، ولو أنني وقتئذ لم أدر لهذه الظاهرة كنهاً أو علة..

وكانت الساعة قد شارفت الثامنة عندما سمعت الباب الخارجي

يفتح.. فانتابني بغتة ذعر هائل فظيع.. فقد حاول «بيزلي» مرة أن يقتلني.. فما الذي يمنعه من معاودة الكرة..؟ وغمرني العرق البارد، وتخاذلت قواي، وغلبني الجبن عن تنفيذ ما هممت به، فأسرعت أختبىء في الحجرة المظلمة، على أن أنجو بجلدي عندما يغادران المنزل.. وكانت «إيفلين» تترنم في الطابق الأسفل بصوتها الرخيم، كأن الدنيا بأسرها تشاطرها ما هي فيه تلك اللحظة من سعادة وهناء.. ثم فتح الباب من جديد وسمعت صوت «بيزلي» يهتف «أين أنت يا «إيفلين» فهرعت المنكودة إليه، وعندئذ سمعت رنين القبلات، ثم وقع أقدامها على الدرج..

وروعني أن وجدتها يسيران صوب هذه الحجرة، فحاولت عبثاً أن أوصد الباب، ولكن كان بغير مزلاج وأبى إلاَّ أن يظل مواربأ.. فأيقنت أني في حكم الهالكين، إذ لن تمضي لحظة حتى يكتشف الحبيبان مكاني..

وقاد «بيزلي» «إيفلين» نحو النافذة، ثم سألها: «هل أحضرت الخطابات معك يا عزيزتي؟»

فأجابته: «نعم.. تلك التي احتفظت بها.. أما الأخرى فقد أتلفتها منذ بعيد.. ولكن لماذا طلبت مني أن أحضرها الليلة؟».. فتناول الحزمة الصغيرة التي قدمتها إليه ووضعها في جيبه.. وقد أخذت منه فيما بعد عدا قطعة صغيرة من خطاب وجدتها أنت يا مستر «كولت»..

وبعدئذ تحول نحو صديقته، فبدا لي مظهره غريباً.. وتبينت في تلك اللحظة فقط أنه يرتدي قفازاً من الجلد على الرغم من أن الليلة كانت شديدة القيظ.. ثم قال: هل تؤمنين بالله يا «إيفلين»؟

ـ لماذا تسألني هذا السؤال وأنت تعلم أنني مؤمنة كل الإيمان؟

ـ إذن أغمضي عينيك، واتلي بعض الصلوات في سبيل راحة

نفسك.

فأبدت المسكينة دهشتها من هذا الكلام، ولكنه عاد يقول: اتلي صلواتك كما قلت لك..

فأرخت أهدابها، وضمت يديها إلى صدرها.. وكنت أرقب المنظر من ثغرة الباب، فلما أدركت حقيقة ما يجري أمامي، كان كل شيء قد انتهى.

فبينما كانت المنكودة تغمغم بصلواتها، محنية الرأس مغمضة العينين، مد «تيموثي بيزلي» يده في جيبه وأخرج مسدساً صوبه إلى قلبها، ثم أطلق النار.. فهوت على الأرض وعلى شفتيها كلمة «أمين» وسط بركة من الدماء.

وكان الذعر قد بلغ مني كل مبلغ بحيث أيقنت أنني لو أتيت بأقل حركة، فسوف أشاطر «إيفلين سوندرز» نهايتها المروعة، وظل «بيزلي» لحظة بلا حراك، ثم ألقى المسدس من يده وركع بجوار ضحيته ليستوثق من موتها.. ولن أنسى ما حييت تلك الابتسامة الشيطانية التي ارتسمت على شفتيه، في هذه اللحظة التي قضاها ساكن الحس بجوار عشيقته..

وبعد ذلك استوى على قدميه، ثم سار نحو باب الحجرة التي كنت بها، فخيل إلي أن نهايتي قد دنت.. ولكنه مر أمام الباب دون أن يقف.. وبعد قليل رأيته يعود ثانية، وفي يده سكين كبير شديد البريق.. وليس في طاقتي أو طاقة البشر أن يُمحى من ذاكرتي هذا المنظر الهائل يا مستر «كولت».. كلا.. بل إنه ما من امريء سبق أن وجد نفسه في حال كهذه الحال التي كنت فيها.

كان الوحش يلهث بصوت مسموع، فأدركت غايته في مثل لمح البرق.. أدركت أنه سوف يقطع الجثة إرباً إرباً حتى يسهل عليه الخلاص منها.. وبهر عيني وميض السكين وهو يهوي على عنق

«إيفلين» التعسة.. فما استطعت أن أكتم الصيحة التي انبعثت مني برغمي..

فأدار التعس رأسه سريعاً، ونهض من مجثمه، وراح ينظر حواليه وهو يزمجر كالوحش المتأهب للافتراس، وكنت قد فقدت السيطرة على حواسي، فاندفعت من باب الحجرة دون أن أنقطع عن الصياح، وأنا أتوسل إليه أن يكف عما يفعله.. وبوغت بمرآي، فشحب وجهه، ولكن ظل يرمقني لحظة بعينين جامدتين، ثم خطا خطوتين صوبي.. ففهمت أن ساعتي قد حانت..

ولكنني تذكرت ولدي، فأمدتني هذه الذكرى بقوة عجيبة.. وكان المسدس تحت قدمي فتناولته في حركة خاطفة وأمسكت به بكلتا يدي، وصوبته نحوه راجية أن يتراجع إلى الوراء إذا كان متشبثاً بالحياة..

ولكنه ظل يدنو مني، وقرأت في عينيه نية القتل ظاهرة جلية.. وعندئذ أطلقت النار يا مستر «كولت».. فهوى كالصخرة الشماء فوق «إيفلين»..

وتوقفت «بيسي ستروبر» عن المضي في قصتها، ووضعت وجهها بين ذراعيها وراحت تنشج نشيجاً أليماً.. ثم استطردت بعد قليل في صوت مبحوح:

- لا ريب أنني قد أُغمى علي.. فلما عدت إلى الصواب، وجدتني أرقد بين جثتين.. كنت أظنني فريسة كابوس فظيع.. وخيل إلي أنهما أيضاً سوف ينهضان من مرقدهما مثلما فعلت.. وجن جنوني، فأسرعت إلى التليفون ودعوت مستر «جيرالد كرتنوود» للحضور سريعاً إلى رقم ١٣ «سانجستر تراس» حيث تجري أمور هائلة.. فلم تمض دقائق حتى كان هنا..

فسألها «كولت»: هل أتى بمفرده؟

ـ نعم.. فقدته إلى هذه الحجرة حيث ظل ينظر إلى الجثتين دون أن يفوه بكلمة واحدة، ثم أخذني إلى الطابق الأسفل، حيث رويت له ما حدث.. وفيما نحن هناك دوى جرس الباب الخارجي، فانتابنا الذعر خشية أن يكون أحد الجيران قد سمع طلقات الرصاص فدعا رجال البوليس، وفي ذلك ضياعنا، لأنه ما من أحد يمكن أن يصدق ما نرويه.. ولكنه لم يكن البوليس، وإنما مسز «بيزلي» وأخاها «بادنجتون». وكانت زوجة «جيرالد» قد سمعت الحديث التليفوني بينه وبيني فأخبرت «إليزابيث» التي أصرت على الحضور بنفسها لترى ما يحدث في «سانجستر تراس»..

وغدونا أربعة الآن نتأمل الجثتين الغارقتين في الدماء.. فركعت مسز «بيزلي» على الأرض ونزعت ساعة زوجها وخاتم زفافه.. وكانت ترتدي معطفاً طويلاً، فلوثت الدماء جزءه الأسفل.

وتولى «جيرالد» القيادة، فقال إنه لا ينبغي أن يعرف أحد قط في أية ظروف لقى المحترم «بيزلي» و«إيفلين سوندرز» حتفهما.

ووجد القارب مخفياً بين الأعشاب تحت النافذة الخلفية ففهمنا جميعاً الغرض البشع الذي أعد له.. ورغم اعتراض الأرملة، تولّى «جيرالد» وأخوه نقل الجثتين إلى الحديقة، ثم طوى البساط، وغسل السكين، ثم جر القارب إلى الشاطىء ووضع فيه الجثتين.. وظللنا نعمل جميعاً أكثر من ساعة في إزالة كل أثر للمأساة، فألقينا بالمسدس وصندوق آلات النجارة في النهر، وبساط المشمع. ولعل أشد اللحظات إيلاما هي تلك للحظة التي وثبت فيها هرة «إيفلين» إلى القارب، بينما كان «جيرالد» يدفعه في النهر بعصاه.. وقبل أن نفترق، أقسمنا جميعاً على أن يموت هذا السر معنا إلى الأبد..

وصمتت الفتاة لحظة، ثم نظرت إلى «كولت» في وجل وقالت:

لقد عرفت كل شيء يا مستر «كولت».. فماذا أنت صانع بي؟!!

فمضى رئيس البوليس نحوها، وربت على كتفها، ثم أخذ يديها الباردتين بين يديه وقال: يا ابنتي العزيزة.. إنني أهنئك من كل قلبي إذ وجدت في نفسك الجرأة على أن تقصي علينا الحقيقة.. فدعي الأمر لي..

وفتح باب الحجرة، وقاد الفتاة بنفسه إلى حيث كان ابنها.. ثم عاد فجلس إزاء «دوجرتي» وقال:

- إن مركز الفتاة سليم يا «دوجرتي»، وسوف تبريء المحكمة ساحتها، إذ أنها كانت في حالة دفاع عن النفس.. غير أن طفلها سيشب من الآن وهذه القضية تلازمه، فما قولك في أن تسافر الفتاة به إلى «أوروبا»، على أن يظل اعترافها هذا محفوظاً بالسجلات السرية لإدارة البوليس؟..

- لا بأس يا «كولت».. إنك لست ممن يرد لهم طلب يا عزيزي.. لقد حفظت قضية «بيزلي - سوندرز»، لعدم معرفة الفاعل!..

ومع أن الصحف ظلت شهوراً تسلق إدارة الشرطة بألسنة حداد، إلّا أن «كولت» ظل صامتاً لا تحركه هذه الحملات، وكان عزاؤه الوحيد أنه ظل مدة طويلة يتلقى في مثل هذا اليوم من كل عام صورة غلام صغير ذي شعر أشقر مجعد تبدو في محياه علامات البشر والهناء..

«تمت»

أجاثا كريستي

- الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى ١٠٣ لغات
- بيع من كتبها أكثر من ٦٥٠ مليون نسخة باللغة الانجليزية وحدها .

كاتبة روايات بوليسية ، ولدت في جنوب غرب انجلترا الأب أميركي وأم إنجليزية ، لكنها تقول «إني إنجليزية» ، تزوجت عام ١٩١٤ من الكولونيل أرشيبالد كريستي ، أنجبت منه إبنة متزوجة ، انفصلت عنه العام ١٩٢٨ ثم تزوجت في العام ١٩٣٠ من المهندس الأثري البريطاني ماكس مالوان ، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين ، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعا ، فرواياتها كبيرة متكاملة ، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائما ، لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصية في الرواية ، كما تميزت أيضا بأن أشخاص رواياتها أشخاص عاديون ، ولكنهم تعرضوا - في الرواية - لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها ، على عكس ما اتبعه الآخرون ، إنها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء ، ولم تهدف إلى الإثارة ، ولا تلجأ إليها إلا إذا كان أبطال الرواية شبانا يطاردون الجواسيس أو يطاردون عصابات خطيرة ، كما تضمَّنت رواياتها أهدافا إنسانية فحواها أن (الجريمة لا تفيد) وأن الخير هو المنتصر في النهاية .

